سادیزم

قصص

الطبعة الثانية

محمد الغزالي

أكتب

ســـاديزم

محمد الغزالي

ساديزم / قصص

محمد الغزالي

الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

احمد مهنى

تدقيق لغوي :

حسام مصطفى إبراهيم

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٩٨٧٩

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٤٧- ٠

جميع الحقوق محفوظة©

ســـــاديـــزم

قصص

محمد الغزالى

الطبعة الثانية

٢٠٠٩

دار اكتب للنشر والتوزيع

مقدمة

قد غامرت وكأنني واحد من الصبية اللاهين على قمم الموج

مثلهم أحاول تطويع كيس منتفخ بالهواء

صيفًا بعد صيف.. أيامًا طويلة

في بحر من المجد

لكن البحر كان عميقًا ..عميقًا جدًا

أعمق مما أستطيع أن ألهو فيه!

ويليام شكسبير...

مسرحية هنري الثامن

خطة نابليون

"المبدأ الأول هو أنه يجب ألا تخدع أنت نفسك لأنك أسهل شخص
يمكن خداعه"
"ريتشارد فينمان"

– أنا من البداية، كنت بضيع وقت..فاهمني ..؟

ولو مش فاهمني..طظ.. إيه الجديد؟ .. عارف إيه أكـــبر ألم يا "حاتم"؟

إنك تحب واحدة للكل..بالظبط.. ده ألعن ألم.. ســـاعتها تبقى حمار..

أنا حمار يا" حاتم "..حمار.

* * * *

– بتحبي الشطرنج؟

– لا..مش بفهمه.

- دي لعبة الأذكياء!

تنطق كلماتها بلوم:

- وأي حد مش بيلعبها يبقى مش بيفهم يعني؟

- هههههههههههه...هعلمك.

* * * *

-كيف عرفت أنها هي!!..وكيف تعرف أنت أمك من بسط ألف امرأة! ..كيف أعرف أنها حبيبتي! هذا سؤال لا يصدر إلا عن غرٍ ساذج يا "حاتم"، فلا تتصرف أمامي وكأنك القديس "حاتم".. هههههههههه..انتظر.. انتظر.. سأحدثك بصدق.. أتعرف الشذى الذي تنثره تلك الزهرة هناك فتعرف أن تلك الوردة هي من نفس فصيلة الورد في حديقة غرفتك.. منذ المكالمة الأولى وأنا أشعر بذلك الشذى.

ثم تتوالى الأيام وهى تخترق قلبي كما تمر الشهب ..لقطة.. فلقطة..أصبحت هي كل شيء..فنجان القهوة، بن معتدل وسكر مضبوط ..الشاي خفيف ومحلى بالنعناع ..هنا ابتسمت في هذا المكان بالضبط ..وهنا ارتعشت يدها وأنا ألمسها.. أها وهنا.. هنا ارتفع حاجبها الأيمن لتعبر لي عن نظرة من نوعية،

اللعنة عليك إن اقتربت..وأنا اقتربت يا "حاتم" .. إذن.. فلتحل عليَّ وعلى قلبي اللعنة ..

* * * *

– فلنبدأ الدرس الآن..ضعي الملك في المكان الآمن خلف الصفوف، وضعي حجارتك في المكان المقابل لحجارتي ..هههه انتظري ..الملك يجب أن يكون في مكان الوزير ها هنا.. كل ملك على لونه المخالف ..ابدئي.

* * * *

قلبك والقسوة مرادفان لكلمة واحدة في قاموس الحياة..وعيناك والبراءة شريكان في جريمة قتلي ..وشد الحبل وإرخاؤه لعبة تجيدينها.. والسذاجة هي ملامحك الطبيعية، فلا تحتاجين إلى قناع لادعائها..ونظراتك الشمسية تخفي انطلاقة القمر من عينيكِ، لكي تعلمينني من جديد كيف أندهش، فأحترق، وأحرق سيجارتي، وأدخن، فيصير للتبغ مذاق قبلتك بدون أن أقترب. وأتنفس شذاكِ لكي أغيب وأنكسر..

– ماذا أصفها وكيف أصفها! ..حسنًا سأحاول، انظر إلى القمر، أترى تلك الغجرية الراقد وجهها بداخله.. حبيبتي هي تلك الغجرية.. وماذا عن غرام الغجر..إنه يعلمك أن لسمار الجلد طلسمًا لا يُفتح إلا بكلمة واحدة ...الجنون...

* * * *

هي.. وماذا لديها لتقول يا "حاتم" ..هه ..تسألها.. وعلـــيَّ أن أسمع دفاعها.. هه ..حسنًا حسنًا، فلتتحدث..

– مشكلتك أنك لا تدرك كيف هو خوف الأنثـــى .. لا تحدثني عن الحب، فحبك مثلك يا سيدي المجنون الغريب..انظر إلى دخان سيجارتي ..حبك وهم وسراب مثل دخان سيجارتي هذه ..هل أستطيع أن أمسك ذلـــك الـــدخان بيـــدي؟.لـــو استطعت.. لربما أحببتك يا سيدي العزيز. لربما فكرت.

* * * *

– بالطبع عليكِ أن تحركي قطعك بحذر . . صدقيني الحـــظ دائمًا ما يسعف قليلي الخبرة ..فقط تذكري أن المـــوت هـــو النهاية إن خسرتِ، لذلك عليكِ أن تحسبي خطواتك قبـــل أن تتحركي ..الأحجار تتنفس، فلا تقتليهـــا بكثـــرة التـــدخين، حركيها وأحبيها.

* * * *

أريد أن أدخن الآن ..تتساءل لماذا أعود إلى التـــدخين؟!.. تنتظر لأشعل تلك السيجارة وأنفخ دخانها وأنا أغمض عيوني.. انظر، سأنبئك يا "حاتم"، لأنها تدخن..أيمكنك أن تتخيـــل أن

يصبح نفس ذات التبغ الذي تعتصره رئتاها ويمر بالقرب مـــن قلبها النحاسي.. هو من نفس فصيلة دخاني ... ثم لأنني أقبِّـــل السيجارة كأنني أقبِّل شفتيها... وأعتـــصر العلبـــة الفارغـــة بقسوة.. بامتهان.. لأنني أدركت أنني أجري وراء الـــسراب. فأمسك بقلبي كأنة العلبة التي أفرغتها منذ قليل وأنظر في العينين البريئتين والقلب المدنس..لأحترق، أحترق يا "حاتم".. أحترق بحق..

* * * *

من سينظر إلينا الآن ويرى تـــداخل الأحجـــار البيـــضاء والسوداء في بعضها البعض، لا يستطيع توقع النهاية ولكن لابد أن تتضح الرؤية بعد هذه المرحلة..

* * * *

ربما علينا أن نتوقف عن التخبط قليلاً.. لنشرح من أنا ومن أكون.. كل هذه الفلاشات تتعبني أنا شخصيًا يا "حاتم"، فما بالك بك أنت! . انتظر! انتظر! لا تقف في الركن مثل التلميذ الخائب، تعال وأنا سأحدثك من البداية.. وأعدك بأن أتكلم بمنطقية..هههههههههههههههههه..منطقية؟! ..بالطبع. التقط أنفاسك ولنبدأ..

- أنا "باهر رشيد" ...محاسب في شركة أدويـــة .. منـــذ تخرجي وأنا هنا..أنت تعلم أن عمى هو العضو المنتدب لتلـــك الشركة .لا تعلم؟! إذن، الآن أنت تعلم ..أنت تعرف أنـــني لا أطيق الزحام والضجيج، ولا أطيق البشر خاصة بعد أن انتقلت لمصر..لاكتشف أنها مزيج من كل ما أكرهه.. لا تعرف أنـــت بأن نصفى بالكامل يحمل الدماء الزرقاء..نعم بي عرق انجليزي هو لأمي ..غرك سمار لوني، أليس كـــذلك؟ ..لا أنـــا أحمـــل الجنسيتين، ولا أردد هذا دائمًا ..دعـــني فقـــط ولا تـــزعجني باستفساراتك..أعود إلى البشر.. أها..انظر يا "حاتم"! الجميـــع أغبياء..كلهم ..وغباؤهم هذا يؤثر علـــيَّ بالـــسلب.. حـــتى الشطرنج -لعبتي المفضلة- لم أعد أمارسه..قلما أُخرج طاولـــة الشطرنج من حقيبتي لأضعها بمستوى رأسي... لماذا؟ ..مـــن سيلعب ضد عقلي يا "حاتم"؟!..الشطرنج..الشطرنج.. عقلـــي هو من يلعبها عندما ألعبها فيجب علـــى الجميـــع أن يعتـــاد وجودي..

* * * *

- هههههههههه.. من قال لكِ بأن الوزير يتحرك بذلك الشكل ..لم أعرّفك بتحركات القطع، حسنا، انظري !

سأعلمها لكِ بطريقتي ..ولكن لا تفتحي عينيـــك بتلـــك الطريقة فتثيرين جنوني ...ولا تخجلي أيضا ليتضرج وجهـــك بالحمرة، فبهذا أيضًا تثيرين جنوني!! .

* * * *

– أتعرف أني كنت أكره يوم الأربعاء قبـــل أن أراهـــا! لا تعرف؟ ..أها.. كنت أكرهه.. تشعر أنه يوم بلا أي ملامـــح خاصة ..لو تم انتزاعه ..ماذا سوف يحدث؟! ســـوف تـــستمر الحياة طبيعية..أليس كذلك؟ سبت، أحـــد، اثـــنين، ثلاثـــاء، خميس، جمعة..فكرة عبقرية يا "حاتم".. انتظـــر! لا تتـــهمني بالعنصرية.. الذكاء أساسًا ليس حكرًا على أحد ولا هو عملية ذهنية صعبة....إنه ممارسة ووجود لإعمال تفكيرك في أكثر من موقع!! أتعرف لماذا أعشق الشطرنج؟ ..المتعة في لعبة الشطرنج –مع أنه لعبة الأذكياء فقط– أنِ الفائز واحد !

والمتعة الأكبر ليست حينما تلعب بالقِطَع فقط.. بل حينما تلعب بخصمك أيضًا! ...سأعلمك السر.. خصمك غالبًا مـــا يحصر كل تفكيره في خطوته القادمة...لكنه لا يعلم شيئًا عـــن خطوتك أنت القادمة! متعة هذه اللعبة تقـــع حينمـــا تـــؤمن بخطواتك....وبازدواجية الفكر...تتوقع خطوته التالية..وحينها فقط يا "حاتم" يمكنك أن تبتسم في عينيه وتقول: ..كش! كش ملك!

* * * *

ـانظري يا صغيرتي.. المتعـــة في الـــشطرنج لـــيس في أن تنتصري أو تهزمي ..المتعة حينما يصبح (الـــشطرنج) سياســـة

وتستخدمينه في حياتك العامة...لا تعرفين كيف؟ ..سأعلمك يا طفلتي ..انظري..

هذا الجندي... وهو عادة أسوار تحمي بهـــا شخـــصيتك بمتغيرات بسيطة وهو يحمي جميع القطع ..

وهناك الخيل...وهي للتوغل في جـــسد خـــصمك دون أن تحطمي أسواره..

وهناك الفيل..وهو الأصعب استخدامًا والأذكـــى علـــى الإطلاق..فهو يسلك أكثر الطرق مراوغة بخطى مـــستقيمة!! وهي عادة ما تكون ضربات توجهها لخصمك من زاوية الخلل في شخصيته...فينهار!!

* * * *

ـ كنت أراها كل يوم يا "حاتم"..كل يوم..ولكني لم أنظـــر من قبل إلى عيونها..حينما حدثتني عن الرحلة..كانت تعلم أنني لن أذهب..لذلك دهشت عندما ذهبت.. صدقني من ينظر في عيونها السوداء لا يمكنه أن يرفض طلبًا..لو طلبت مني أن أقسم والآن على أني رأيتها من قبل في القمر، سأقسم لك، لا ليست سذاجة..أنت تعلم أنها ليست من الطراز الذي أفضله أساسًا.. هي سمراء وأنا أعشق البيض ..تعرف أنت كيف أنظر للنـــساء

..صحيح أن تجاربي يمكن أن تحصرها على أصابع يديك، ولكن صدقني إن مجرد النظر إليها يعيدك بريئًـــا ..أنـــا أقتـــرب يـــا "حاتم"..وأقترب.. أسقط، وأسقط.. واللعنة عليَّ إن أحببـــت ..اللعنة عليَّ .

*****

سأسألك سؤالاً ولا تجيبي .. فكرى فيـــه فقـــط عنـــدما تستطيعين القضاء على الآخر (الملك) بأحد الجنود، هـــل هـــو ذكاءٌ خارقٌ منك، أم غباءٌ خارقٌ من الطرف الآخر؟!!

*****

ـتعلم أنت كيف تجرى تلك الأمور..لا داعٍ لابتـــسامتك من فضلك..أتعرف؟.حينما تجذب وترًا فإنـــه يُـــصدر نغمًـــا غريبًا..لا.. ليس نشازًا..ولكن غريبٌ..أراهنك أنها شعرت بي وأنا أتأملها..لو كانت النظرات تلمس لتمت محاكمتي بجريمـــة التحرش، ولرضيت بها أنا عن طيب خاطر ..ها أنا ذا أتوســـد عينيها..وألمس شعرها بدون أن يبدو على جسدي ولا عيـــوني الـــتغير..أحفـــظ تقـــاطيع الحركـــة فيهـــا..هـــي تحـــدثني كصديق..ههه..صديق بالفعل..تعلم أنت أنهن جميعًا ما يبـــدأن

هكذا ...لا تعرف؟ هه..لأنك لم تر عيونها..أتعرف النهر الذي رمى فيه "أخيلس" -بطل الأسطورة- لكي يتقبل الموت بكـــل ترحاب؟..عيونها هي نهر الموت يا "حاتم". صـــدقني..حينمـــا تنظر فيهما يمكنك أن تتقبل أي شيء وكل شيء!

*****

ـسوف أعود للقطع.. هه..لم تفهمي السؤال ..ركـــزي فقط...انظري.. تلك هي القلعة... ولا يصح أن تستخدمينها كثيراً... لماذا؟.. لأنك مثلها بسيطة وصريحة..في حالتك يصح أن تستخدمينها من حـــين لآخـــر بعـــد خطـــوات الـــذكاء والتعقيد...فحتمًا ستربك من يلعـــب ضـــدك واعتـــادي ألا تعتبرينها هجومًا... لماذا؟ لأنها حركة دفاعية في زى الهجوم !!

*****

ـأراها واقفة كثيرًا يا "حاتم" مع الجميع...خاصة مع ذلك الشاب الأبيض الناعم.. أنت تعرفه.. من قسم الخـــدمات ..لا أشعر أنه رجل أساسًـــا..أنـــت تعـــرف أني رأســـت قـــسم الحسابات..بالطبع ..لم يخبروك بعد..حسنا أصبحت أنـــا الآن المدير الأصغر سنًا في الإدارة..أنت تعلم، لا أتنازل عن المنصب الأول أبدًا يـــا "حـــاتم"..لا أعلـــم فـــيم يتحـــدثان كـــثيرًا وكثيرًا..سوف تقام مسابقة للشطرنج.....وهى لا تستطيع أن

تلعبها .....الفرصة سانحة للفوز بالمسابقة وبقلبها ..تعرف أن أخاك هو الأذكى ..أليس كذلك؟..

*****

وهناك في القرب يقف الوزير...وهو رمز الثقة...فالرجل الذي يفرض ثقته على الحضور، هو رجل يستخدم الوزير كثيرًا....هذا احذريه لأنه اندفاعي ولا يعي حجم تصرفه!!

ولكن الذكاء أن تستخدميه بعدما ينسى خصمك وجوده!!

*****

تقترب مني هامسة.. لا أعرف من أين عرفت أنني بطل الجمهورية السابق..تريد أن أشترك بالتحكيم..أتأملها..

ـ*الشطرنج* لا يحتاج إلى محكّمين..يستطيع صديقك من قسم الخدمات أن يقوم بهذا الدور..كيف نطقت بهذا! صدقني أنا لا أعرف يا "حاتم".. فقط قلتها وأعطيتها ظهري...لتجعلني ألتقط أنفاسي:

ـ"محمد"مش صديق.

أتنفس مرة أخرى يا "حاتم"..أنت تدرى أن..

فتقاطعني مرة أخرى:

ـ"محمد" خطيبي يا أستاذ "باهر".

*****

بجانب الوزير..هذا المختال بعظمته هـــو الملـــك...وهـــو شخصيتك الحقيقية التي تعجز عن حماية نفسها!!!!

*****

ماذا؟ صدمت؟!..ومن هي حتى تصدمني من الأســـاس يـــا "حاتم"؟!..ماذا؟ تتكلم مرة أخرى؟ ..دعها تتكلم..ولننتظـــر آخر ذلك العبث يا "حاتم".

_الحياة مثل الطاحونة ..والذكريات هي القمـــح ..ونحـــن نسير لا ندرى إلى أين.. ولكننا نسير ..مـــن قـــال أن الحيـــاة معادلة مترابطة الأطراف ..الحياة نزوة. وعلينا أن نمـــر دون أن تلوثنا ..علينا أن نخوض في بحر الذنوب، ونـــصعد أبريـــاء..أن نحترق بالشهوة ونظل نتحلى بفضيلة الشرف..علينا أن نشرب كأس الحياة حتى الثمالة..بدون الحق في أن نشكو من طعم المر!

تحاسبني على الحب؟ لو أن كل كلمة حب مرت بي هي إثم وله حد، فعليك إذن أن تجلدني في ميدان عام.. ألف ليلة..مـــا ذنبي إن عشقني فلان أو أحبني علان؟! ..أنا أحذر من يقتـــرب مـــني.أنـــا لـــست للحـــب ..انظـــر إليّ.. تلـــك المساحيق..أثارتك..شعور الرجل نمى في أحشائك فـــأردت أن تثبته للجميع ..تبًا لكم..أوف.. ها هي العلبة قد انتـــهت...لا تحدثني عن قوانين الرحمة..أنا كل ما فعلته في عمـــري كـــان

محاولة عدم إيلام الآخرين. وهم... نظروا لي وأنا أتألم بمنتهى العبث واللامنطقية. وتركوني بحجة أني الأقوى....ماذا عنه.."محمد" خطيبي! شاب عادى..قد يئست من محاولة العثور على بطل.. الأبطال مكانهم الأساطير يا عزيزي. الأساطير.. ورأس صديقك المتوهم هذا.

*****

_ماذا؟..سأشترك في المسابقة بالطبع...همم.. تريدينني أن أعلمك خدعة؟ حسنا..سوف أقول لكِ إحدى أبسط وأسرع الخطط في الشطرنج..خطة نابليون ..انظري إلى يدي ..

*****

تتكلم هي مرة أخرى ... أوف.. دعها تتحدث يا "حاتم"

_ماذا؟ حذرته بالطبع يا "حاتم" أن يعرفني...أفهمته أنني لا أستطيع أن أحب.. إن أراد هو فعليه أن يحصل على قلبي .. لا تنظر إليَّ هكذا! أنا بقايا امرأة. صدقني..هذا القلب الصغير الذي تنظر إليه، احترق كشهاب .. وانطفأ، وذل، وانكسر، ودُهس..فلا تطلب منى أن أكون رقيقة..أو متفهمة. أنا لم يتفهمني أحد. فعليكم اللعنة جميعًا إن لمتموني.. أنت وهو، وحتى "محمد".. الجميع عليكم ألف لعنة.

*****

ـخطة نابليون لها شرط وحيد! هو أن يبقـــى خـــصمك جنوده أمام الملك دون حراك.

حركتان بالجنود..وحركة واحدة بالفيل وأخرى بالوزير.. والعكس.. ثم اقتلي الجندي الواقف في زاوية الملك وبعدها.. كش ..كش ملك!.

*****

ـأيمكنني أن أشعل سيجارة أخرى؟ قلت لك لن يتحملـــها ذلك الطفل، فلم تفهمني..أحرقته كشهاب..لن تجد في النهاية إلا أنا يا "حاتم" ..ماذا؟ ارتبطت مرة أخرى.

*****

ـانظري إلى القطع.. تأمليها! كم هي جميلة حينما تـــرقص القطع على طاولة الشطرنج! ترقص بحب..هي للأذكياء فقط! قلتها لك من قبل.. وحينما تقفي قبالتي أمام طاولة، علينـــا أن نعرف إن كنت أنا أذكى منك....أم أنت الأذكى!

*****

ـأنا من البداية كنت بضيع وقت..فاهمنى ..

ولو مش فاهمنى..طظ.. إيه الجديد؟..عارف إيه أكبر ألم يا "حاتم"؟

إنك تحب واحدة للكل.. بالظبط ده ألعن ألم. ساعتها تبقى حمار!

أنا حمار يا "حاتم" ..حمار. هي من البداية واضـــحة ..إيـــه الفرق بينها وبين أي حاجة؟ إيه الفرق بينها وبين كولدير المّيه ده؟..مفيش...ليه؟ لأن أي حد ممكن يشرب منه..سبيل يعـــني ..صدقني. متبصش كده باستغراب! أيوه دي للكل...شـــوية معايا وشوية مع "محمد" وشـــوية مـــع "يوســـف" و"أحمـــد" "وأشرف" للكل صدقني .وبعدين مين قـــال لـــك إني أصـــلاً بحبها..أنا بشرح لك بس.. أنت بقيت غريب ليه كده.

****

اليوم بداية الدورة..أراها في رداء بزهور جميلـــة..وبنطـــال جيتر ضيق..وطرحتها بتلك الربطة العجيبة ...أنظر إلى جدول المباريات، فأندهش.. ما هذا؟ أنتِ تلاعبينني أنا! أنتِ ضـــدي في الجدول..هههههههههههههههههههههههههههههههه!

فلتـــضحكي أيتـــها الأقـــدار ولتمطـــريني بـــسخريتك المفرطة..سوف أعلمك يا سيدتي الآن .. والآن فقط .. سوف تتعلمين أول دروسي بحق!

****

ـــلم ألقنك درس الدهاء في الشطرنج بعد..هه ..الـــدهاء في لعبة الشطرنج..أن تدعى خصمك يهاجم وأنت تبـــدين لـــه

الضعف...ولا مانع من أن تضحي بجندي أو خيل أو قلعة ..لا تفرطي في الميل فهو عادة ما يكون ضربة قاضية!! لا تعـــرفين لماذا؟..سأشرح لك ..نشوة فرحه بـــطعمك ستـــضعف مـــن أدائه...لعدة أسباب.

*****

في اليوم السابق أصرت أن تغير في الجـــداول.. لابـــد أن تلاعبه..شهور تتمرن..تعرف أنه الأفضل..تعلم ذلك ..الجميع يخبرها...بطل الجمهورية الأسبق ..الأستاذ ..الرائع..الـــراقص على الرقعة.. لم يترك أحدًا إلا وهزمه..ترك اللعبـــة لـــسبب لا يعلمه أحد..حسنا أيها الراقص ..سوف نرقص غدًا ســـويًا.. حتى وإن كانت الرقصة الأخيرة.

*****

_أها.. الأسباب...انظري!

لو تأملته ستجدين أنه استرف كل تفكـــيره في اصـــطياد طعمك...بينما كنت أنت تختبرين ذكاءه...وجعلتـــه يخـــوض انتصارًا وقتيًا ...بينما عرفت أنت طريقة هجومه .. في حين أنه لم يفهم طريقة هجومك بعد!

وبقي سبيان ..انظري إلى الطاولة!

*****

ترصين قطعك بمهارة ويسر..تنظرين في عيني مباشـــرة .. تهمسين بكلمة بدون صوت .. ماذا؟ .. فلنرقص!!

*****

حين تهزمين فان انتصاراته البسيطة ستجعله يقـــارن بـــين البداية (وأنت بكامل قوتك) والوقت الحالي (بعدما خـــسرت أنت) فيؤمن حينها أنك أضعف منه...وسيهبط مستواه رغمًا عنه ...

*****

أرأيت من قبل عينين سوداوين بأكملهما.."يخـــرب بيـــت عيونك ...يا عليا".."يا عليا شو حلـــوين"...يخـــرب بيـــت كده..أغمض عيوني لألتقط أنفاسي..وأفكر في الطاولة وأنـــا مغمض ..هناك سيقف الوزير أليس كـــذلك؟ ..أســـتطيع أن أهزمك بحركتين ..بأربع..انتظري سأنصب على الهواء منـــصة ...سأدفعك لأن تحركي الوزير.. بالفعل هو مصدر قوة بالنسبة لك، ولكن إن فقدته يصبح النصر بالنسبة للاعبة حديثة مثلك ضربًا من الخيال، وستخسرين بعدها مزيدًا مـــن حجارتـــك، تضحية لإبقاء على الملك..للأسف سأجعلك تفقدين الـــوزير وبعد أن تفقدينه، سأجعلك تحركين حجارتك رغمًـــا عنـــك حسب ما أريد وبذلك ستتوالى الخسائر مـــن جهتـــك... وفى النهاية ستسألينني ماذا أريد وقد أتيت على معظم حجارتك!!

توقعي أي شيء ..توقعي أني أبحث عن نهاية جميلة، فبالنسبة لي، بعد أن تسليت معك كثيرًا، يحق لي أن أبحث عن تلك النهاية التي تُرضي غروري.. ألا يحق لي؟... وبعدها سأنظر في عيونك الحزينة ..وأقولها لك وقد شارفت اللعبة على الانتهاء: كيف تريدين نهايتك، وعلى يد من؟! على يد (القلعة) أم (الحصان)؟ هل ستصدقين إذا قلت لك أنني أستطيع قتلك بأحد(الجنود)؟! أضعف عناصر النصر لدي !! قمة السخرية! أعلم ذلك.

ولكنني بدأت أشعر بالملل.. فقد بدت لي اللعبة سخيفة جدًا.. لذلك سأنهيها بطريقتي.. تنتزعك من أحلامك انتزاعًا.

_أستاذ باهر ...

_أيوه..

_ابدأ.. الأبيض بيبدأ..إنت نسيت؟..تبتسم..

*****

أنا لا ألعب سوف أخوض جولة للفرجة..هناك الحصان والآخر....تحركين الجنود أمام الفيلة ...هههههههههه

فليبدأ الرقص...

*****

في عقلها كان صوته يتردد.

.هي أبسط وأسهل خطط الشطرنج..ولا تـــصلح لهزيمـــة محترف.

لو أبقى خصمك جنوده أمامه فقط.. لو أبقاهم..حركتان بالجنود، وحركة واحدة بالفيل وأخرى بـــالوزير..والعكـــس. ثم اقتلي الجندي الواقف في زاوية الملك..وبعدها كش ..كـــش ملك!

*****

تحـــركين الفيـــل بحـــذر ..حـــسنا وهـــاك فيلـــك .. فليسقط...تبتسمين وتخرجين الوزير..حـــسنًا بالـــضبط هـــي دقيقة...

*****

آخر قاعدة يا عزيزتي في لعبة الدهاء، أنه إن أحس بالثقـــة فقد انسكب....وأنت الوعاء الذي احتواه....فحتمًـــا أنـــت المسيطرة!!

*****

_دكتور محمد ..دكتور محمد..

_أيوه يا إبراهيم ..

_أستاذ شادي مستني حضرتك وبيسأل عن صحة أخوه.

_ماشي.. أنا رايح له..

_أهلا يا أستاذ شادي ..

_طمني يا دكتور..

_مفيش..حالة الغيبوبة مستقرة ...

_أنا بقى لي فترة واقف وإشارات المخ بتتحـــرك بـــسرعة وبترجع تهدى.

_محدش عارف إيه اللي في مخه يا شادي ..بيفكر في إيـــه.. أو بيحلم بإيه.. أو عايش في قصة إيه.. محدش يعرف.. ربنـــا بس اللي يعلم.

*****

عندما كانوا ينظرون إلى "باهر" من خلف الزجاج .. كان هو ينظر في عيني حبيبته التخيلية..ويجلس بجانبه "حاتم" صديقه منذ الطفولة الذي لم يوجد...وهي تنتصر عليـــه ..وتقولهـــا بمساعدة خطة نابليون البسيطة..

كش ملك!

رسالة من أنثى

"إنما النساء شقائق الرجال..ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم"

(حديث شريف)

رسالة من امرأة حمقاء

يا سيدي العزيز هذا خطاب امرأة حمقاء .. هل كتبت إليك قبلي امرأة حمقاء؟ .. اسمي أنا ؟

دعنا من الأسماء.. رانية أم زينب أم هند أم هيفاء.. أسخف ما نحمله ـــ يا سيدي ـــ الأسماء!

"نزار قباني" ...

***

ـــهل شعرت يومًا بأنك منتهك؟! .. نعم، أشعرت بأنـــك تمشي عاريًا وسط الجميع؟! .. أعرف أنك ـــكرجل- تعودت على سياسة الاختراق، لا الانتهاك.. لـــذلك تفـــتح فمـــك بدهشة..اسمعني فقط ولا تقاطعني يا سيدي..

أنت تعرف أنني انتقلت للعيش في القاهرة منذ شهور قليلة.. وتعلم أيضًا أنني لست بالسافرة..وأنـــني أدرك أحكـــام ديـــني جيدًا..وأعرف قدر نفسي.

ولكني منذ جئت، وأنا أشعر بأني مشوشة فكريًا للغايــة.. مشوشة حتى في علاقتي مع جسدي...

قبل أن تبدأ لا تحدثني عن قوانين المجتمع والفكــر الغريــب بأنني إن سترتُ نفسي فسوف يقيني هذا شــر المــضايقات.. فالذي أراه الآن لا يمت لأي قوانين أو أديان بصلة!!

أتعلم أنني - لأول مرة في حياتي- أتجرع كل ذلك الكم من الفكر الذكوري المتعصب للغاية والرافض لوجود المرأة.

منذ سنوات.. كنت أعرف المعادلة الخاطئــة هــا هنــا، وأحفظها .. المعادلة القديمة ..المحجبة هي الفاضلة والسافرة هي الساقطة..

إلا أن ذلك تغير الآن! فالجميع أصبحن ساقطات....صدقني الأمر مؤلم للغاية!

أنت لا تتخيل كمَّ الشعور بالمهانة الــذي أتعــرض لهــا يوميًا..لمروري في وسط البلد.. أشعر أن نظــراتهم تلمــسني وتعريني ..أصبحت أكره جسدي وأكــره كــوني أنثــى... تبتسم...أنت لا تعرف يا صديقي العزيز ماذا لاقيــت حــين حاولت أن أمشي على قدمي في وسط البلــد! ..حــتى الآن أتساءل ولا أجد إجابة!

سؤال واحد يؤرق نومي: ما الذي دفع كل تلك الكمية مـــن الذكور وأشباه الرجال إلى التصرف تجاهي وتجاه أخريات بكل تلك العدائية، ذات الدلائل الجنسية القذرة ؟!

***

فشرقكم يا سيدي العزيز يحاصر المرأة بالحراب، يبايع الرجـــال أنبياء، ويطمر النساء في التراب.

لا تتزعج يا سيدي العزيز من سطوري! لا تتزعج إذا كـــسرت القمقم المسدود من عصور.. إذا نزعت خاتم الرصاص عـــن ضميري، إذا أنا هربت من أقبية الحريم في القصور، إذا تمـــردت على موتي، على قبري، على جذوري.. و المسخ الكـــبير.. لا تتزعج يا سيدي إذا أنا كشفت عن شعوري.. فالرجل الشرقي لا يهتم بالشعر و لا الشعور!

***

أتعرف حينما أتيت القاهرة لأول مرة، حذرني صـــديق مـــن المشي منفردة، مازلت أذكر عبارته القاسية: "هنا مش كنـــدا دي مصر" ولكني لم أعر كلماته أهمية..كنت مخطئة، اعتـــدت قديمًا في زيارتي أن أرى شبابًا يعبِّرون عن آرائهم بالتصفيق، أو حتى بالتعليق باللفظ أو بالنظر إعجابًا..كنت أعرف أن القانون هنا –غالبًا– يمنعهم من خدش الحياء العام...ويمنعهم مـــن أن يتعرضوا للإناث من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أخلاقهـــم

وقيمهم تمنعهم ... ولكن في زيارتي الأخيرة تلك، علمـــت أن القانون ليس رادعًا لهم ولا

أخلاقهم أيضا..وما لفت نظري بشدة، هو الأعـــداد الكـــثيرة لأشباه المحجبات.. تبتسم مرة أخرى يا سيدي!!

الحجاب زى لا يسعني إلا أن أحترمه، وأدعو الله أن يـــرزقني اتباعه بالطريقة الصحيحة.. ولكن ما يحدث هنا هو تهـــريج.. سمه رقصًا على الحبال، سمه ما تشاء.. ولكن هذا لا يمكـــن أن يكون حجابًا، ولا التزامًا، ولا أي شيء ...من زمن والمجتمـــع الذكوري هنا قد نجح في أن يتوصل إلى معادلة غريبة للغاية لا أدَّعي فهمها..المعادلة هـــي أن تـــربط الحجـــاب بـــالانحلال الأخلاقي...

لم تفهم كلماتي؟.. سأشرح لك ..أعني أنكم قد وضـــعتم رمزًا، وهو الحجاب، وهو -مع احترامـــي- رداء خـــارجي، وصنعتم من الرمز - الحجاب- دليلاً وبرهانًا على الفـــضيلة.. وكنتيجة طبيعية، ستصير التي بدون هذا الرمز، ساقطةً أو على أقل تقدير لا تمت للفضيلة والشرف بصلة..لا أعلم كيف عدتم بنا إلى ما قبل "الإسلام"..بجاهلية موجودة تحت قناع التسامح والعقلانية.. جاهلية ترفض الآخر بدون سماع منطقه.

تخيل أن أستاذًا جامعيًا بشوشًا دائم التحدث عـــن القـــيم، رفض أن يتحدث معي؟!، بل اتهمني بالهرطقة والإلحاد، لمجـــرد أني اختلفت معه في الرأي!!.. معذرة، أي رأي آخـــر يقابـــل بالتكفير والعدوانية والرفض هكذا بكل بساطة!!

***

معذرة .. معذرة يا سيدي إذا تطاولت على مملكة الرجال.. الأدب الكبير ــ طبعا ــ أدب الرجال.. والحب كان دائمًا من حصة الرجال!

***

وما يحدث في وضع كهذا، أنك تصبح في صـــراع طـــوال الوقت، وتعمل جاهدًا للإبقاء على وجودك الإنساني في وسط الصراع، لكل فرد طريقته في مواجهة الصراع، فالبعض يبتسم والبعض يستسلم ..والبعض يقاوم.

ولكني - حينما وصلت إلى تلك المرحلة مـــن الـــتفكير- اكتشفت أنني أصبحت فيما يشبه الانطواء، لا أطيق مغـــادرة عربتي أو شقتي.. بل إني أغلق باب المكتب حتى وأنا أدري أنني في مكتبي الخاص... تنازلت عن هوايتي الصباحية!!

انتابني إحباط نسائي قومي...تساءلت كيف يمكن لـــذلك الشباب أن يصير يوما شعبًا حرًا..مادامت تستعبده الأكاذيـــب وتسيره العنصرية وصيحة التكفير هذه؟

بكل بساطة، الفضيلة مقابل البغاء، وكأنما الـــصورة بهـــذه السطحية.

ثم كيف يتكلمون بآيات الله ثم يخالفون كل ما جاء فيها !!

عن أي دين يتحدثون وهم من يدمرون كـــل قواعـــده؟! وكيف تستغفر الله صـــباحًا ثم تفعـــل الفعـــل ذات نفـــسه مساءً!!..أتعرف يا سيدي حتى في رمـــضان، ذلـــك الـــشهر الجليل..كان زوج صديقتي يدخن جهرًا بالنهار...ثم يوبخهـــا للغاية إن تأخرت عن دروس الدين، ويحدثها بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في أن تراعي بيتها وأن تسجد لزوجها بعد الله، وهو الذي لا يقيم الصلاة أصلاً!!

عن أي دين نتحدث هاهنا! أعن الإسلام" أعظـــم أديـــان الأرض؟!

أعن رسول الله صلى الله عليه وســـلم الـــذي أوصـــاكم بالقوارير؟!

أعن القرآن الكريم الذي أمركم بغض بصركم.. ولـــيس أن تحملقوا للغاية بسبب أو بـــدون..وفي الجميـــع.. في الـــسافرة والساقطة.. بل وفى المحجبة والمنقبة أيضًا.. بحجة أنهـــم تحـــت النقاب!! و..و...؟!!

وكان الله قد خص ذلك الحشاش ...لا تبتسم فأنت تـــثير غضبى بابتسامتك الهادئة تلك...

صدقني لا يمكن أن تطلق عليه غير ذلك.. قـــد خـــصه الله بالحكمة ليرى أنها... وأنها.... حتى من تحت النقاب..ثم مـــن قال إن الدين الإسلامي قد همّش دور المرأة، وأنه لا مكان لها، وأنها يجب أن تلاقى بكل هذا الرفض الفكري، فقط لأنها أنثى ..ثم كيف يمكن أن يتحدث كل هؤلاء عن التحرير وتحطـــيم الأعداء في إسرائيل وخلافه، وتحرير أنفـــسهم مـــن حكومـــة تقمعهم أكثر. وكيف يمكن أن تتخيل أن ينجو من الاستعمار والذل، ماداموا هم أنفـــسهم يمارســـون العنـــصرية والـــذل والاستعمار لأهليهم، وأبناء بلدهم أنفـــسهم، فقـــط لأنهـــم مختلفون...كيف سيصيرون شعوبًا مستقلة؟!!

أي العلاقات تلك التي سوف تحكمهم!...ينـــادون بـــأن يحكمنا الإسلام.

ألا يا ليت ذلك يحدث! ولكن عن أي إسلام نتحدث هنا!! عن إسلام المصطفى صلى الله عليه وســـلم وهديـــه، أم عـــن

"إسلام" شيوخ لا يدرون سوى أحكام العلاقـــات الزوجيـــة وأحكام المرأة الحائض..والرجل الجُنب!!

فكرت طويلاً يا سيدي في العودة لـــبلادي الأصـــلية..لا تتعجب من ذلك اللفظ! فهنا أنا سأعيش إرهابًا أبـــديًا لأن الله خلقني بهذا الجسد .. حتى وإن لففته بألف ألف نقاب وألـــف ألف حجاب!

حتى وإن التزمت بالزى الإسلامي الذي ألتزم بـــه قبـــل أن أعرفهم وقبل أن أسمع كل ذلك الكم من الأشرطة، الذي أهدته لي أخت لا تعرفني في المسجد، وهي تحدثني بأني أغـــضب الله تعالى لأني مبتسمة دائمًا! ونسيت بأن تبسمك في وجه أخيك صدقة .. وهو ما ردت به عليها أخت منقبة أخرى.

وجدت فيها تفهما ووعيًا .. يا سيدي أنا قررت أن أعـــود لبلاد فيها إسلام بلا مسلمين .. وأترك بلادًا تعيش بمسلمين بلا إسلام!

***

خرافةٌ حرية النساء في بلادنا

فليس من حرية أخرى، سوى حرية الرجال يا سيدي

قل ما تريده عني، فلن أبالي

سطحية، غبية، مجنونة، بلهاء، فلم أعد أبالي، لأن من تكتب عن همومها .. في منطق الرجال امرأة حمقاء وأنا امرأة حمقاء.

***

لا تعليق....

البديل

"أيتها الدمية ..سامحك الله

إني أحبك حتى الآن ...حتى بعد أن وضعتك في مصاف الدمى

ولكن إلى متى يدوم حب الدمى"

" يوسف السباعي"

ـــيا سيدتي أنا أحبك حقًا ولكن لن يصلح لي ذلك الـــدور صدقيني لست رجلك

ـــ كريم افهم ول.....

ـــيا سيدتي بالله..اسمعيني...

ـــاهدأ من فضلك..

ـــأنا هادئ فقط اسمعيني

ـــكل ما أطلبه هو فرصة للشرح و.... ...

قاطعتها بغضب:

ـــأنا لا أصلح لكِ بديلاً.. ذلك الشعور يمزقني من الوريـــد إلى الوريد!

***

استريحي ليس للدور بقيّة

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحي زيف المساحيق ولا ترتدي تلك المسوح المريمية

واكشفي البسمة عمّا تحتها من حنين.. واشتهاء .. وخطّيه

كنت يومًا فتنة قدسّتها

كنتِ يومًا ظمأ القلب .. وريِّيه..(أمل دنقل)

***

كنت دائمًا في الركن المظلم، أتعلم ذلك الركن الذي يغطيِّه الظل بالكامل في الصور؟ دائمًا كان مكاني ذلك الـــركن.. لم أكن أعني لها إلا حائط الصد الأخير، جدار المبكـــى لقلبـــها.. دائمًا ما كنت أقوم بذلك الدور لها بدون أن تعلم أو أعلـــم، كنت دائمًا من أجلها هناك.. إلى أن احتلت أرضي بالتدريج.. الاقتراب منها ألقى على قلبي اللعنة.. بالرغم مني تملّك السحر من قلبي وتغلغل في شرايييني إلى الأعمق، وهي.. هـــي كانـــت مختلفة منذ البداية، كانت أنثى.. لا تعرف ما الفارق بين الأنثى وباقي النساء، سأنبئك بما لم تحط به علمًا... الأنثى هي مـــن تجعلك رجلاً بحق.. بل تجبرك وتعلمك كيف تـــصير رجـــلاً، فتعبر الجبال وتحطم المستحيل نفسه.. رسم الله في عينيها جمالاً، من ذلك الذي ينتقل منها إلى كل الأشياء، فتراها معها أجمل.. وأنا، أنا أحببتها منذ البداية.

***

ـإنت شفتها إمبارح

ـ مين؟

ـ"سارة"

ـآه.. شفتها.. وسألت عليك صحيح...

أشعل سيجارته وقاطعك وهو ينظر في عينيك.

ـإنت عايزها يا "كريم"

ـيعني إيه عايزها يا "إسلام" مش فاهم؟

ـلا فاهم إنت صاحبي وفاهمني، أنا عارف إنك بتحبـــها.. باين في عينيك وفي كلامك عليها.. إنت عارف إن علاقتنـــا تقريبًا انتهت..لو حبيت تصاحبها.. أنا مش همانع خالص.

صمت للحظة وقلت:

ـ"إسلام" عايزنا نفضل أصحاب ؟

ـنعم ؟؟

ـمتتكلمش في الموضوع ده تاني لو سمحـــت..ومتجـــبش سيرتها بالطريقة دي تاني.

***

القدر له سخرية غريبة في توزيع الأدوار.. ومن عجائب سخريته أنه يجبرك على أن تلعبها بطريقة مختلفة.. جعلني أستمع لكل من الطرفين في صمت وأبتلع مشاعري مع صمتي بابتسامة.. كان عليَّ أن أسمع رأى "إسلام" الصريح فيها..هو ببساطة يراها عادية، واحدة يا كريم مالها يعني واحدة بوقتها.. وعليَّ أن أسمع منها كلمات افتتانها برجولة "إسلام"..وأناقشها فيما تراه بغصة في حلقي.. الوقت كفيل بأن يعلمك كيف تكتم ما بقلبك بقلبك.. وجرعات الألم بالتدريج ستصبح إدمانًا للوجع واشتياقًا للألم، حينها يصبح جلد الذات وتعذيبها هو الشعور المسيطر.. حينما كانت تفضحني عيوني بالوجع، حينها كانت بخبرة أنثى محنكة في فن الكلمات وفى رسم المشاعر والأحرف والوجع، تبرر كلماتها وتنطق كلماتها وهى تضغط على مقاطع خروج الأحرف بقوة تدمر ما بقى في قلبي من قوة بأننا أصدقاء.. كثيرًا ما سخرت من كلمة أصدقاء تلك.. الجميع وهي في مقدمتهم علمت أنني أحبها... حينما كانت تستشيرني في علاقتها المتشابكة، كنت أهاجمها كثيرًا في صورة النصيحة، أنفث عن غيرتي المكبوتة بدون قصد، أوبخها إن أخطأت، تعلو نبرة صوتي وتزداد حدة كلماتي.. وهي.. هي كانت تستمع لكلماتي بصمت وبتفهم وأحيانًا وباستمتاع أحيانًا.. لماذا؟.. بالطبع لأننا أصدقاء!! المثير للدهشة، أنها دائمًا

مع كل قصة حب تنهيها... كانـــت تلجـــأ إليّ لتبكـــي في حضرتي.. لتشرح لي بالتفاصيل الدقيقة كل شيء.. همـــسات العشاق لأذنيها.. كلمات الحب الدافئة التي تفتقـــدها الآن... لمعة عيون فلان أو علان..وكان علـــيَّ أن أســـتمع –فقـــط– بصمت.. أستمع.. وروحي تكـــسر أضـــلعي مـــن الثـــورة وتسحقني.. وأنا أبتسم في عيونها..أبتسم وأتألم وأستمع!

***

لم تكوني أبدًا لي

إنما كنتِ للحب الذي من سنتين قطف التفاحتين الحلوتين

ثم ألقى ببقايا القشرتين

وبكى قلبك حزنًا فغدا دمعةً حمراء بين الرئتين

وأنا.. قلبي منديل هوى جففت عيناك فيه دمعتين

ومحت فيه طلاء الشفتين ولَوْثَه ..في ارتعاشات اليدين.

***

بعد أن تركها "إسلام" بعقلها تساءلت عمن يـــصلح لهـــا زوجًا.. الأمر الآن لم يعد للحب أي دخل فيه، وهي لم تحـــب أحدًا فيهم من الأساس، وإن كانت تفضل "إسلام".. ولكـــن في الزواج، الأمر سيختلف حتمًا..هي تكبر يومًا عن الآخـــر

صحيح أنها لا تزال في ريعان شبابها، ولكـــن تلـــك الجـــذوة المقدسة لنار شبابها ستخبو حتمًا، وستحتاج إلى مـــن يرعـــى نيرانها الدافئة ويبارك انتقال النار على اســـتحياء في خريـــف عمرها، حسنًا تلك هي ورقتك يا "إسلام" يمكن دائمًـــا عـــن طريق "كريم" صديقه أن... لحظة، "كريم"..!!. لماذا لم تفكري به من قبل، يا للغباء إن كنتِ ستبحثين عن زوج فمن يـــصلح مثل "كريم"؟.. خجول وصامت، صامت؟.. لكنه ينطـــق في حضرتك حتى وإن لم ينطق بلسانه، فعيناه تفعـــلان.. ولكـــن "كريم" صديق؟.

هراء من يؤمن بالصداقة بين الرجال والنـــساء!.. خاصـــة حينما تلمع عيونهم بالنشوة في حضرة بعضهم البعض.. حسنًا تلك هي ورقتك يا "كريم"... فلنبدأ.. رقمه علـــى هاتفـــك، تطلبينه بثقة ليجيب بفرحة:

ـــآلو

ـــعارف إنك وحشتني

ـــإيه!

ـــوحشتني وحشتني يا "كريم"

ـــربنا يكرمك

ـــينفع أشوفك النهارده

_آه أكيد هظبط و...

تقاطعينه بقوة وبإصرار:

_لا متظبتش أنا هشوفك النهارده.

حينما نظرتِ في عينيه .. رأيتِ أعماقه.. دعك مما تقول.. أستطيع أن أسمع صدى الصوت في أعماق قلبك الـــسحيقة.. أستطيع أن أسمع ذلك الصوت يرد على كلماتي، بأنك تعشقني يا "كريم"، ليس حبًا فقط، أنا أرى ذلك وأسمعـــه.. حـــسنًا.. ترى ما لون الفستان الذي سأرتديه في خطبتنا...!!؟

***

ونحن نعبر الطريق كادت أن تسقط، التقطتـــها بـــذراعي، لمستها، ارتعش لها جسدي وتفتتت روحي، لا أعلم لم تؤثر في قلبي ملامستها إلى تلك الدرجة!.. لم أتحطم إلى ألف قطعة مثل البلورة إذا نظرت في بحار عينيها... درج مكتبي ازدحم برسائل حبها، برسائل لم ترسل قط! أحيانا كنت أغمض عيوني وأتخيل أني أراقصها وهي ترقص بين ذراعي، أتخيل أني أنظر في عيونها وأصمت في رهبة.. وكثيرًا ما كنت أعاتب نفـــسي وألومهـــا لصمتي .. لم لا أحاول؟؟.. لم أتحطم هكذا!!.. هي فقط تريد منك أن تبدأ خطوتك الأولى.. أبدأ.. لا تراجع الآن، ســـوف

تنجح.. همست لك بأنها اشتاقت إليك وأتت من أجلك.. إنها خطوتك الآن.. اليوم سوف أقولها.. ارتديت أبهى ما تملـــك، بنقودك القليلة اشتريت لها قطةً صغيرة، هي تعـــشق القطـــط وتكره الورود، إنك تحفظ ما تحب وتعشق ما تعـــشق لأنهـــا ..لأنها هي.

***

_عايز أقولك حاجة.

_قول.

_أنا ..أنا بحبك.

نظرت في عينيه وبمنتهى القوة نطقتها.

_عارفة

***

كان ماضيك جدارًا فاصلاً بيننا

كان ظلالاً شَبَحيه.. فاستريحي ليس للدور بقيه!

***

يومًا فيوم كانت تدخلك عالمها الممتلئ بالأشياء الجميلـــة..

هي تعلم جيدًا كيف تسيطر على قلبك!

وتجعلك تخطو في الطريق الذي تريده.. أنت الآن تـــذوب وهى التي تذيبك بصبر وبتأنٍ وباحتراف.. سألتك يومًـــا: مـــا أسوأ شيء قد يحدث في قصتنا؟... تبسمت وصـــمت قلـــيلا وأجبتها بدون قصد:

ـــأن أحبك أكثر من ذلك.. هذا هو أسوأ ما قد يحـــدث.. صدقيني.

***

ـــمش بتشوف "كريم" يا "أحمد"

ـــلا خالص، من ساعة ما بقى مع "سارة" ومحدش بيشوفه!

تلتفت إليه:

ـــبقى مع مين بتقول؟

ـــ"سارة" يا سمسم.. "سارة مجدي".

ـــههههه.. الواد ده ندل.. بيقعد فين طيب؟

ـــبص فيه سكشن كمان نص ساعة يبقى هو أكيد في "أون ذا رن" لأن ميعادنا نتقابل هناك.

ـــماشى يلا هخدك معايا في العربية ..

عندما رأيته أخذته بالحضن، لا مكان لسلام باليـــد هنـــا، افتقدته بحق.. أحسست في عينيه بخجل غريب وهـــروب.. لم تشأ أن تتحدث أمام "أحمد".. انتظرت عندما ذهب ليطلـــب قهوته..

ـ كده يا ندل.. مش قلت لك من الأول؟

ـ قلت لي إيه؟

ـ قلت لك لو عايزها مش هعزَّها عليك.

ـ "إسلام" لو سمحت بلاش الأسلوب ده!

ـ أسلوب إيه يا كريم؟ فـــوق بقـــى ..دى واحـــدة زى السيجارة دي.. شايفها؟..لما تخلص تترمي كده ويداس عليهـــا عشان الولعة تتطفي!!

رأيته وهو يقفز نحوك ويوجه إلي وجهك لكمة.. بغـــضب تلقائي كدت أن ترفع يدك لتحطم وجهه، ولكنك لم تستطع.. كيف تدمر صداقة استمرت عمرًا بأكمله؟!.. حجمك ضعف حجمه ولكمة مماثلة ستترك في وجهه علامة.. فقـــط وقفـــت ونفضت التراب من على ملابسك ونظرت إليه وهو يرحل في صمت!

***

ـــإنتي بتحبيه يا "سارة"؟

ـــ"إسلام"

ـــلا "كريم"

ـــ"كريم" .. "كريم" حد جميل يا ندى بس مش عارفة مش حسَّاه أوي بس أكيد بعد الخطوبة ها..!

تقاطعك بدهشة:

ـــمش حسَّاه!! ..خطوبة ليه طيب؟؟.. الواد ده بيحبك بجد يا "سارة"

ـــيا سلام..

تقولها دون اهتمام..

ـــلا بجد..إنتي معرفتيش إنه ضرب "إسلام" عشانك

ـــنعم .. بجد؟ "إسلام" حصل له حاجة؟

نظرت صديقتها إليها بدهشة لم تستطع أن تداريها:

ـــلا محصلهوش.. "إسلام" أصلاً مرضيش يكلمه.. ســـابه ومشي.

ـــشفتي الفرق بقى؟

***

كنت تشعر بالحيرة وبالغضب وبالندم بعد ما حدث بينـــك وبين "إسلام"، الأمر لم يكن يحتمل أن تمد يدك عليـــه..أنـــت تحتاج إلى أن تهرب.. ولكن إلى أين؟.. حـــسنا رقمهـــا يـــنير شاشتك وحبها ينير حياتك.

_صباح السكر يا جميل

_صباح النور يا كريم..هنخرج النهارده؟

_أكيد تحبي نتقابل فين؟

_جراند

_أنهي واحد؟

_جراند الترهة

_ماشي

لماذا ذلك المكان بالتحديد؟..أنت وهي تعلمان أنه مكـــان "إسلام" المفضل.. فلماذا اختارته.. لماذا وأنت في أول الطريق معها تذكرك بأشياء لا تود تذكرها.. لا يهم، سوف تجعلـــها تحبك، سوف تحمل الكون بكامله في راحتيك الصغيرتين لكي تختار أي النجوم سوف تزين به شعرها الساحر..عندما ذهبت وجدتها قد سبقتك.. لماذا تلك الأريكة بالتحديد؟.. أهي تتعمد أن تختار نفس الأشياء بتلك الدقة؟!.. يشعر أنه يرى "إســـلام"

بعين الخيال يجلس فقط.. وأنت تحل محله حتى يعود، حاولـــت أن تخبئ شعورك، تحدثت وتحدثت، بغير قصد لمست يـــدها... فارتعشت يداك وابتعدت بيدها عن يدك في لحظة الملامـــسة .. ابتسمت، فقط هي تحتاج بعض الوقت لا شيء أكثر.. وأنـــت تتحدث وجدتها تستمع إليك بنصف اهتمام وعيناها تنظران إلى مدخل المكان.. نظرت معها لتجد صديقك القديم.."إسلام"

***

أينما نحن جلسنا ارتسمت صورة الآخر في الركن القصي

كنتِ تخشين من اللمسة أن تمحى لمسته في راحتي

وأحاديثك في الهمس معي إنما كانت إليه ..لا إلىّ!

***

يومًا فيومًا بدأت تلاحظ أشياء لم تكن تراها مـــن قبـــل.. لاحظت أنها فقط كانت تقترب منك دائمًا في لحظات ابتعـــاد الجميع عنها.. أنك لم تكن لها إلا دولاب الأسرار أو حـــائط المبكى في حين أنها لم تعرف قط مـــاذا أردت أنـــت أو مـــاذا أحببت... عندما كانت تفقد الجميع وخاصة أحبَّتها.. حينـــها وحينها فقط كانت تقترب منك أكثر وأكثر لتجـــدها تمـــلأ الكون من حولك وحينما تعتاد عليها في لحظة مفاجئة تتركك

وحيدًا وتترك المساحة الخضراء التي تعـــودت أن تـــشغلها في حياتك وتترك كل شيء خططتم له سويًا وترحل.. لماذا احترق بالشك وبعدم الثقة هكذا أهذا هو الحب... عـــن أي حـــب تتحدث وهي التي لا تنطقها أبدًا في حضرتك؟ تتذكر الآن أنها لم تكن ترد على كلمات حبك أو ترد باقتضاب كملكٍ تلقى تحت أقدامه غنائم الحرب بكل رضا... أأنت غبيٌ لهذا الحـــد.. لماذا تصبر عليها إذا لم تلعب لعبة ترى نهايتها هـــي الخـــسارة المؤكدة.. لماذا تصعِّب على نفسك الأمر .. تذكر حديثك مع "أحمد" فهمت الآن ماذا كان يقصد بالإستبن!

_عارف إيه فايدة الإستبن يا "كريم"؟

_ آه ده عشان كاوتش العربية لو با..

يقاطعك:

_صح بس أنا أقصد في البشر

_مش فاهم!

_متلعبش دور مش دورك يا "كريم" إنت أكبر من كده.

_مش فاهمك برده

_يكره هتفهم

ربما عليك للحظة أن تتوقف وأن تنظر للموقف من بعيد.. كل ما كانت تريده هي، فترة نقاهة، مرحلة انتقاليـــة لـــيس أكثر.. وأنت أديت الدور كمـــا أرادت.. كلمـــة حبـــيي أو وحشتني لا تنطق دائمًا بقصد.. لا صداقة حتى ما بينكم، كم مرة تحدثت معها فيما يؤلمك؟.. كم مرة اســـتمعت هـــي!!.. دائمًا هي من يشكو فقط وعليك أن تستمع، هي حتى لا تذكر تاريخ ميلادك وأنت تذكر كل لحظة في حياتها.. لماذا تـــستمر إذا؟

***

كانت "سارة" الآن في حيرة من أمرها، "كريم" قد فاتحهـــا في أمر خطوبتهما... وهي كل ما طلبته منـــه مـــدة لا تعلـــم لماذا..!!. وهي في الطريق طلبت رقمـــه، رقـــم "إســـلام"... الشوق فقط هو ما جذبها إليه، كانت تريد أن تتحدث معـــه ولكنها وهي تتحدث تحدثت في كل شيء.. إلا في موضـــوع "كريم"، صرخت له: أحبك لا تتركني.. فاجأها تغيّـــر نـــبرة الحديث، احتقار "إسلام" لها وهي تتحدث عن "كريم" بسوء.. فاجأها بقوله: إن كريم صديقه الوحيد وسيظل كذلك مهمـــا حدث وهي مجرد سيجارة.. التقط منها أنفاسًا ليرميها في قلب الطريق من نافذة عربته، لتدهسها الإقدام.

***

ـ عارفة إن "كريم" ده طيب أوى

ـ اسمعنى يعني؟

ـ كان فيه أجزاء كتيرة مش فاهمها في الشغل وشـــرحها لي بمنتهى الأدب

ـ هو كده دايمًا مؤدب وخجول

ـ يا بختك!

ـ على إيه يعني؟

ـ أيوه طبعًا لأنه راجل بجد.. راجل مش زى بقية الغجـــر اللي عرفتيهم!

ـ ههه

***

فاستريحي الآن لم يبق سوى حيرة السير على المفترقِ

كيف أقصيك عن النار وفى صدرِك الرغبة أن تحترقي ؟

كيف أدنيك من النهر وفى قلبك الخوف وذكرى الغرق

أنا أحببتك حقًا ..إنما لست أدري أنا ..أم أنت الضحية

فاستريحي . ليس للدور بقيه!

***

اليوم موعدهم... تأنق للغاية وهو ذاهب للقائها، كان قـــد انتوى أمرًا، ذهب وجلس في مواجهتها.. بـــدأت تتحـــدث وتتحدث وهو ينظر في عينيها:

ـــمالك؟

ـــمفيش ..

ـــبتبص كل شوية على موبايلك.

ـــمفيش مستني حد بس وأهو جه...

أمام عينيها المندهشة نطقت:

ـــ"إسلام"!

ـــــمالك مستغربة ليه؟

ـــلا بس

ـــبس إنتي نسيتي إننا أصحاب.. شبه بعض صح.. بيقولـــوا كده دايمًا.. عارفة؟.. اســـتغربت أوي لمـــا طلـــبتي مـــدة.. واستغربت أكتر لما كلمتيني الصبح وقلتي إنـــك مجنونـــة بيـــا وبتتمني أكون الراجل اللي يعيش معـــاكي بقيـــة حياتـــك... تفكيرك هايل.. عايزة تنتقمي من صورته فيا.. صح؟

ـــيا كريم

ـ يا سيدتي أنا أحبك.. أحبك حقًا ولكن لن يـــصلح لي ذلك الدور صدقيني لست رجلك.

ـ كريم أفهم ول...

ـيا سيدتي بالله ..اسمعيني

ـاهدأ من فضلك..

ـأنا هادئ فقط اسمعيني

ـكل ما أطلبه هو فرصة للشرح و...

قاطعتها بغضب:

ـأنا لا أصلح لكي بديلاً.. إذلك الشعور يمزقني من الوريد إلى الوريد.. منذ اليوم الأول عرفت.. عرفـــت وصـــمتُ، لم أطلب منك أي شيء بل كان كل ما أطلبه أن أظـــل بجانبـــك وحتى ذلك لم تعطني إياه!!.. كل ما فعلته هو إعطائي شـــعورًا مزيفًا لقلب منكسر..ولم أرفض.. ولكن يا سيدتي عفوًا هنـــا ينتهي دورك.. منذ البداية حذرتك.. إلا الكذب.. لِـــمَ لَـــمْ تصدقيني؟.. لَمْ تسمعينيِ!! كل ما فعلته هو أن دمرتِ كل ما فعلته من أجلك فقط من أجل أن تنتصري

حينما هبطت منها دموع عينيها..التقط من أمامها مفاتيحه ورحل مع صديقه

ربما لأول مرة منذ عرفته شعرت بأن قلبها كـــان ينـــبض بحبه.. بحب كريم.

الفراشة

"هي قصة بدأت وانتهت.. وعلق بداخلها فقط الذكرى والألم"

"جزء من القصة"

مفتتح:

هي قصة بدأت وانتهت.. وعلق بداخلها فقـــط الـــذكرى والألم، وها هي رسائل تكتـــب إليهـــا ولا تـــصل عينيهـــا أبدًا..ولكنني أكتبها

****

وما ذنبي إن كان حبّك هو ما قدر لي!

وما ذنبي إن طعنك أحباؤك من قبلي!

وما ذنبي إن كنتِ لا تعرفين ماذا تريدين.. من الأساس!

وما ذنبي إن كان خطئي أن ما هو مباح لي.. محرّم عندك!

****

_عارفة إنتي شبه إيه؟

_اممممممممم إيه يا ترى..؟

_الفراشة.

ـبخاف منهم أوى على فكرة.

ـوأنا بحبهم أوى على فكرة.

****

ولدت حبيبتي في برج الجوزاء، هو برج هوائي أكثر ما يميزه أنه يمنح مع جنسيته الاهتمام الشديد بالتفاصيل وبالجمال والمظهر الخارجي.. برج يضفي على أصحابه الابتسامة الساحرة والفكر العميق والثقافة الهادئة.. برج يمنح لصاحبه حب الجمال والقدرة على منح الحنان والقسوة في آن واحد.. وعيناها قد ولدتا لتكونا قادرتين على غزو أعماقك بالدفء إن أرادت، أو جعلك تشعر بالثلوج تتكون على روحك فتصير كلوح من البلور، لا تريد.. لا تحس.. لا تشعر.. سوى بتشتتك كطفل فقد أمه في زحام المدينة.. قادرة على أن تلغى الحدود إن أرادت وترسمها إن أرادت.. منحها الله "الطلة" البهية والقدرة على أن تلقى على قلبك السحر في لحظات.. حسنا فلنتحدث عنها أو بلسانها وليلعب هو دوره إن أراد هو.. عن الحنين إليها أتحدث

****

أمن الممكن أن يترك أبطال مسرح حياتك المسرح فارغًا للحظات.. سأكون أنا الراوي والمخرج للأحدث وسأدمج

الواقع بالخيال ليصيرا قصة واحدة، سأبدأ من مرحلة التكون.. استعدي يا فراشتي الصغيرة فستبدئين الطيران الآن.

حينما نكون في فترة المراهقة نكون على استعداد لأن نحب أول شخص يصافحنا وهو يبتسم.. في هذه السن تصبح شبكية العين مستعدة لالتقاط أي شعاع ضوء، تصبح الأرواح أميل إلى التصديق بأن ما نراه أمامنا هو نصفنا الآخر.. هذا ليس حبًا.. حتى وإن تصورنا للحظات أنه الحب الأول والأخير، وأن ما بعده هو مجرد تصورات مملة، حتى وإن ألصقنا بمن كان يحبنا صفات أسطورية كفيلة بجعله" أخيلس" بطل "طروادة".. أو "هرقل" الذي حارب الجبابرة وحيدًا.. إنه نوع من أنواع النرجسية، هذا ليس حبًا إنما هو العثور على واحة في قلب الصحراء فنحن في فترة المراهقة نحب هربًا من الفراغ أو لكي نثبت لأنفسنا أننا قد تغيرنا.. لا مشكلة في كل هذا يحدث كثيرًا ولكن المشكلة أنها حينما لعبت معه لعبة العشاق لأول مرة.. حينما سمعت منه كلمات الحب لم يكن الزمان قد لقنها أول درس حتى.. لم تكن تعلم حينها أن الحياة مدرس قاس يعطى الامتحان أولاً ثم يشرح بعدها الدرس..كيف تنقل الطفلة إلى أنثى من دون أن تنتظر أن تصير حتى فتاة!! لم تكن حتى مراهقة كانت لا تزال طفلة وهو كان شابًا يافعًا.. من الطبيعي أن يصير الحلم والحب والفارس في آن واحد.. أن تكون أنت الأستاذ والحبيب والخائن والقاضي والجلاد والمتهم في آن واحد، هذا هو الجنون بعينه!

البدايات دائمًا مؤرقة... تريد أن أحكي لك عمن أكون.. تريد أنا أصير قصتك القادمة .. تريد أن يحتويني كتاب بـــسبعة جنيهات أو بعشرة لا أثق في حدوث ذلـــك ولكـــنى ســـوف أحدثك.. عنى أنا..أنا أنثى مصرية عاديـــة للغايـــة، بعيـــوب ومميزات أنثى مصرية.. بوجه وملامح أنثى مصرية وبعقد أنثى مصرية أيضا.. قصتي كقصة صفاء أو سمر أو هدى أو أميرة أو سما أو غيرهم .. مالها قصة ككل قصة.. إلا أنها تختلف في أنها قصتي أنا.. فلنعترف بأن القدر ألعابه غالبا مـــا تكـــسر كـــل الاحتمالات.. صديق اليوم هو عدو الغد لذلك لا تعطى سرك لأحد.. سيقول لك أنه الرجل المنتظر ..وسيقول لـــك بأنـــه عشقك وأنه رأى العالم يتكون في بحور عينيـــك.. ســـيقولون كلامًا سيجبرك على التراجع عن قراراتك.. ولكن صـــدقيني.. جميعهم كاذبون.. لذلك عليكِ أن تتعلمي كيف ترقصين رقصة الحياة وتنظرين إليهم من عليائك.. بنظرة من نوعيـــة "حـــسنا ومن تكونون أساسًا" هذا ليس غرورًا هذا هو سلوك القنفذ يا عزيزتي الصغيرة.. لا تقلقي أن لم تتقنيها، الزمان كفيل بجعلك تلعينها بالطريقة الصعبة لتتعلمينها إن أراد.

أعود لقصتي حينما كنت صغيرة كـــان الجميـــع يتحـــدثون ويتحدثون وأنا لا أفهم من حديثهم إلا أن عيونهم كانت تتسع كلما زارتني أعينهم على فترات.. حتى أنني للحظات ظننت أن

في الأمر شيئًا ولكنني فيما بعد فهمت أن سر النظرات هو مـــا يسمى بالانبهار.. يقولون جميعهم بأنني أحمل جسد امرأة وقلب طفلة وروح أنثى.. لم أتعلم فنون الأنوثة قط ولكنني تعلمـــت كيف أتحدث! كيف تتلون الأحرف! فترتجف عين الرائـــي.. وأنا أنظر وأنتظر..كيف التقيته هو.. ألم أقل لك منذ البداية أن القصة نمطية وللغاية.. هو كان جارنًا من يسكن في العمـــارة المقابلة ..أحبني!! ..بالتأكيد أحبني..وأنا تنفـــسته، لم أحبـــه فحسب.. أتعرف أنني في البداية لم أحبه..صدقني كنت أخشاه كثيرًا..كنت طفلته ..وهو من علمني أبجديات العشق ..معـــه ومعه فحسب تعلمت كيف أنطق كلمة أحبك.. أوحـــشتني.. معه كنت أرتجف.. وأشعر بالأمان وبالخوف.. بالحزن.. أتعلم حتى الآن لازلت أتذكر لحظات حضوره المربكة كان يكفى أن يمر فقط لكي ترتجف يدي الصغيرة وأشـــعر بالـــدماء تغـــزو وجهي... كيف؟ ولماذا يحـــدث هـــذا؟ لا أدري.. ولكـــن سأجرب أن أشرح، أنا لا أعلم كيف.. ولكنني أعلم لمـــاذا.. لأنني كنت أشم رائحة عطره، فتزلزلني لأرتجف في حضرته ..

***

كيف تتكون الفراشات.. سأنبئك ـــ فقط لا تفقد التركيز من فضلك ـــ أنا الراوي أعود لأخترق الأحداث حينما أشـــاء ..أتأمل فراشتي تحلق من حولك لتنبهر فأمد أصابعي لتـــستقر

عليها أو لتطير بعيدًا عنى وعنك تلك هي قـــوانين الحكايـــة.. وعليك أن تتقبلها..أعود إلى الفراشات.. الفراشـــات تتكـــون بالتدريج، هي المثال الأوضح على إعجاز الله بالجمال .. فمـــن دودة قز صغيرة إلى شرنقة تلتف هي نفسها لتغزلها بخيوط مـــن الحرير إلى أن تفقد الأمل في تلك الشرنقة الغريبة فتعود لتغشى عينيك بالضوء لتهرب أو لتحترق.. هـــو، ومـــاذا عنـــه؟... فلنتحدث عنه بلسانه لنتسلل إلى داخله ونرى كيـــف يـــرى الكون من منظاره.. ولما الكون معك حق كل ما يهمنا كيف وجد فراشتنا الصغيرة.. لتستعد أيها الـــصديق فـــالآن يبـــدأ دورك.. لتهبط إلى خشبة المسرح.

النساء!!.. وماذا عنهم.. النساء هم زينة الحيـــاة الـــدنيا.. هههههههههههه.. لم تفهم القصة، الأصل هم المال والبنون.. ولكن إن دققت النظر ستجد أن المال يأتي ليذهب على النساء، والبنون يأتون منهن، لذلك يمكننا اختـــصار متعـــة العـــالم في النساء.. هي.. هي من في حضرتها أكتمل.. لا تصدق، ومـــا رأيك إن كنت أخشاها صدقني أخشاها كـــثيرًا، في حـــضرتها تتضاءل الحدود لتصير هي حدودي صحيح أنني أتألق حينمـــا تصبح بجواري ولكن ذلك لا ينفى رعـــبي مـــن وجودهـــا في حياتي، حينما تصبحين موجودة أســـتطيع أن أحلـــق لألمـــس السماوات، تنظفين أركان حياتي من غبار الفشل الذي يلتصق بأيامي، ولكن لا تنكر أن وجود أم واحدة يكفي..حسنا الملل

هو الشعور المسيطر.. المشكلة أنك أفضل من اللازم.. لمـــاذا لا أتذوق باقي الزهور وأكتفي من رحيق العسل.. برحيق نحلـــة واحدة.. امرأة واحدة لا تكفي.. قسوة أن تكون صـــديقتها.. أوافقك الرأي ولكنها مصرة.. وأنا لا أملك أمام إصرار أنثـــى إلا أن أنهار.. أن أنهار وأرتشف من بحورها وأنهار وأسقط!

****

لا تتذكر هي ذلك اليوم جيدًا .. الضائع والخائف والمرسوم بالقلم الرصاص لا يملك الإرادة أو الذاكرة للأحداث، وهـــي كانت مثل كل هؤلاء كانت لا تزال طفلة لا تـــدري كيـــف انمحت الذاكرة لتترك في القلب ندبة لا تندمل كانـــت تحلـــق تشترى أشياء بسيطة من البائع أسفل مترلهم لربما يسعدها الحظ فترى عينيه قبل أن تصعد إلى غرفتها فتحتضن عينيـــه بـــداخل رموشها حينما شعرت بألم في أسفل رأسها فنظرت لتكتـــشف كم كان ساذجًا للغاية ذلك الذي نشر في العالم أن الخيانة هي مجرد ألم لا يحتمل.. الخيانة ليست ألمًا لا يحتمل.. الخيانة هـــي خنجر مغروس، قبل غرسه نقع بسم نفاذ، وغرس بالقلب مـــن الجهتين.. حينها يصبح حب الألم متعة.. وفقدان الثقة بالنفس طبيعيًا.. وعدم الاطمئنان حرفة.. وميكانيزم الـــدفاع طريقـــة عيش.. مبدأ اللامبالاة هو المسيطر.. حينما تـــرى صـــديقتها

الصغيرة تتبختر بدلال وهى خارجة من مترله حتى أنهـــا تعـــبر الطريق فقط لتريها عينيها الظافرتين... حينها وحينـــها فقـــط تفقد الطفلة أجمل ما فيها: براءتها وتفقد الأنثى الثقـــة بالعـــالم وتفتقد الحدود.. حينها وحينها فقط تؤمن بأن الخنجر قد غرس إلى الوريد.. وغاص في القلب إلى النصل.

****

موجع أن يكون هناك طفل حالمٌ صغير يحمل قلبه على يديه بحثًا عن شيء اسمه حب.. ويدرك أن الحب هو الوجه الآخـــر للعبث في قلوب الآخرين... وتقضي هي العمر في محاولة إنقاذ ما تبقى من الوهم.. وتعلمها الدنيا الدرس بالطريقـــة الـــصعبة لأول مرة وتهمس في أذنها أن القلب لن يغفر لمن نشروا شائعة الدفء في عيون لم تصر بريئة.. هم فعلوا هذا... وحقوق الألم لهم دون غيرهم محفوظة..

_مالك ...

_مفيش...

_ممكن تعيطي على فكرة

_مش عايزة ..

_طيب مالك..

_مفيش حاجة بجد... مفيش

_عشان خاطري عيطي

_وأعيط ليه مفيش حاجة تستاهل.. عادى كبرى

****

يجب على الأماكن أن تغير أسماءها لكي تطابق ما أصـــبحنا عليه.. لكم تغيرت الفراشة.. تغيرت بحـــق.. تلـــك الطفلـــة الصغيرة أصبحت امرأة صغيرة وجميلة.. الأنثى اكتملت.. سر الخالق قد ألقي عليها لتصبح إحدى مخلوقات إثـــارة الدهـــشة والبهجة.. ولكن عليها أن تقاوم طيفك والحنين إليـــك.. لم لا تكتب؟.. سوف تفتح لنفسها نافذة بعيدة تطل علـــى العـــالم بكتابتها وبشخصيتها أمسكت قلمها وأورقها وكتبـــت أولى كتابتها وهى تبعد قطها الصغير بقدميها..

الآن سأكتب عنه فقط.. إنه هـــو !.. الحـــنين.. كنـــت أعرف مثلك تمامًا أن الأحلام التي نتمنى لها أن تمـــوت.. هـــي تلك التي إذا تحقّقت اكتشفنا كم هي قبيحة...كان يتخللني.. و يتوه في صدري ..الحنين إليك كمجمرة لها الجمر ولي تعب الانتظار.. حسنًا سأعيد اجترار الذكريات و سأفسِّر لنفسي ما يوجعنا.. وإن حدث يومًا أن سألني قطي المدلل .. أهو من فعل هذا بقلبك؟!!..سأردد خلفه بغباء جميل: "صـــحيح لأن مـــن فعلها هو أنت"!

وهى تكتب كلماتها بكت، تساءلت في حيرة . .لماذا يطل عليها طيفك الآن.. لماذا تصر على إفساد كل قـــصص حبـــها بوجودك المربك.. تقترب وحينما يحلو لك تبتعد.. أقُدِّر لي أن أقضي ما بقى من العمر في تقدم وتقهقر.. ومحاولات للعـــودة وللاقتراب.. وبعد أن تسأم هي من تكرار صورتك وطغيانهـــا على كل قصص حبها وتدميرك لهم جميعًا.. تصر أن تنهي حالة التردد؟. لن تقف أمامك بعد الآن الطفلة الـــصغيرة فتمـــسك بيديها وتنطق: زعلانة، فتصرخ عيونها بالحب.. سوف تـــتغير لابد أن تعود الفراشة للتحليق.. سوف تحلق .. تحلق بعيدًا عن مدارك.

****

لماذا نطلق عليها فترة انتقالية.. لم لا نطلـــق عليهـــا فتـــرة نقاهة؟.. الحب مرض فلنتعرف بهذا وحبك أنت بالذات مرض ومرض قاتل أيضًا لذلك عليَّ أن أبحث عن علاج عن ترياـــق للسم الذي يجرى في نبضي ودمى المسمى باسمك ألتفت لأنظر من يصلح الجميع يريد علاقة جسدية فقط أو علاقة لإثبـــات الرجولة الجميع يريد تابعًا جميلاً وملفتًا ليس أكثر.. قالها لـــك صديق من قبل الرجال الذين يجلسون بجوارك تصيبهم عـــدوى الجاذبية ونيران التوهج إلى حضورهم..لا أحد يعلم أنك بحاجة إلى من ترمى أحمالك عليه لا أن يحملك أحمالاً زائدة.. لمـــاذا

يدعى الجميع فهمه للمرأة في حين أنهم جميعا يفقدون أبسط قواعد منح الأمان.. من ستختار.. المحاولة لابد أن تكون ناجحة لن تحتملي الفشل مرة أخرى لذلك لابد أن ترتبطي بعلاقة ستستمر من يصلح من يصلح.."صلاح"!! الهادئ الجميل، كم الرقة هذا أليس غريبًا.. ثم أنك تحبني كما أنا.. وهذا هو ما ينقصني بحق، رجل يعشقني لفكري ويحترم تلك الأنثى بداخلي.. ماذا سأخسر أكثر مما خسرت؟.. فلنلعبها بطريقتك.. تذكر هي مكالمة صديقتها التي تنبأت لها بالندم.

_أنا ارتبطت بصلاح

_ إيه؟ ..بتهرجي صح؟

_لا بجد

_إنتي كده بتحرقي نفسك فاهمة.. إيه الهبل ده؟ ..براحتك إنتي مبتسمعيش كلام حد..

****

منذ البداية علمت أنها يمكن أن تخسر الكثير.. أكثر مما خسرت بكثير.. علمت أن كل ما فعلته معه كان محض غباء.. منذ أن تحول ذلك الكائن الرقيق الذي كان يتكلم على خلفية النيل... والذي أذهلها بأناقته وكرمه المبالغ فيهم إلى ذلك الكائن المتمثل أمامها.. حينما اشتمت الشهوة من بين رائحة

عرقه التي أصبحت لا تطيقها.. الذقن الحليقة نمـــت.. الرجـــل أصبح ذكرًا في لحظات.. الغريب أنه أصبح يتفنن في ذلهـــا وفى محاولات تغيريها.. أليس هو الذي أقنعها منذ البداية أنه يريدها أن تكون كما هي عشقها حرة.... فلم يستمتع بإذلالها أمـــام أصدقائها الآن؟!.. المقربون منها لمحو ذبولها... لماذا يعود ذلك الكابوس الآن؟ لماذا تعود بكثرة إلى اللامكـــان.. وتحاصـــرها أشياء بلا هوية.. تتكاتف عليها لتصل إلى حالة القرب مـــن الاختناق .. ثم تفيق لتجد أنه كان وهمًـــا.. أكـــان يجـــب أن تتحدث عن أمجادك في كل لحظة؟.. إنك تحطمني بحق.. كل ما أحتاجه للنجاة من كابوسك هو الإرادة..الإرادة لطرد ذلـــك الكائن الذي أصبح كل ما يمثله مرادفًا للغثيان.. بدأ من لمـــسته الشهوانية وعينيه اللتين تعريانك بقذارة غريبة.. مكالمتك الـــتي تغتصب الكلمات وتنتهك عرض الحروف وتنهيدات الخلاص القذر.. أصبحت أشعر بالغثيان في كل مرة تتحـــدث فيهـــا.. ولكن كيف.. كيف يمكنني أن أواجه كل هـــؤلاء حـــتى إن أردت الخلاص..

****

لماذا كان يجب أن أظهر أنا الآن.. الإجابة أنه كان من المحتم أن أظهر الآن أو لا أظهر للأبد... أنا الراوي كما تتـــذكرني..

الآن حان دوري في المسرح لذا فعلى الأبطال أن يفسحوا لي المجال.. سأرتدي الملابس الرسمية للحدث وأنت أيتها الطبول فلتدقي ثلاث دقات لمقدمي، ابدئي..

ربما على أن أصفها ببيت شعر.. ولم.. لأنني أكتب الشعر كما ترى..هممممم أصفك.. حسنا.. أيجب أن يكون شعرًا..لا لا يجب أليس كذلك حسنا لتكن جملة واحدة فحسب أصفك بها.. أفكارك والجنون وجهان لعملة واحدة وقلبي هو العملة الأخرى التي يتركها ظل عُملَتكِ على الأرض.. الأمور يجب أن تحسب بمنطقية.. وبمنطقية يمكننا الحديث لا الاقتراب... لماذا؟

أن تحاول تحليل البشر فهذا ذكاء وأن تحاول مساعدتهم فهذا عطف.. وأن تحاول أن تفكر بعقولهم وأن تحبهم وأنت تفعل كل هذا فهذا هو الجنون، ولكن لنقترب ولنحاول أن نحلل أحداث حياتك بمنطقية ولأساعدك أن أردت.. من قال أني غير معجب بك؟..أنا؟.. من قال.. ولكن من يصدق الشعراء يا سيدتي.. ثم إني سأنساكِ بسهولة للغاية يكفيني أن أجعل أصابعي تقترب من بعضها وتبتعد لأنساكِ.. صدقيني.. ثم إني نسيت لون عينيك.. ولكن أن أردتِ سأخبرك بكم مرة تطرفان وهما تحدثاني.. فهكذا يصبحَ نصف الثلج....نارًا!!

****

لماذا أنت منطقي هكذا... تتحدث بصفة الطبيب النفـــسي المخضرم أنت تبلغ الأربعين على أقل تقدير.. هـــا.. تحـــدثني كابنتك الصغيرة.. و لم لا؟.. سوف أريك أيها المغرور.. تريد أن تقترب و لم لا؟.. اقترب..

ـــإنت عندك كام سنة

ـــاشمعنى؟

ـــعادى سؤال

ـــ ٢٢.. أنا أكبر منك بشهر

ـــإيه؟!..

ـــزى ما سمعتي..

ـــتعرف إني افتكرتك كبير أوي عن كده؟

ـــليه؟

ـــكلامك أسلوبك وكده

ـــيا شيخه..قولي كلام غير ده

ـــهههههههههههههههه

أكنت تحتاجينه بالفعل ليخبرك بأنك حرة في تركـــه؟!.. أم أن أرواحنا مقابس طاقة حينما تضعف يلزمها فقط مقبس آخر لكي تعود للاشتعال ..لا يهم، فلتضيفي التجربـــة إلى جـــدار الروح ..وها هو شرخ جديد يرقد إلى جوار زملائه، جـــرح

يترك أثره بطول الروح أو أكثر.. تنظرين إلى قلبك الـصغير، تعب من كثرة الحروب والطعان التي تترك فيه آثارًا لا تُمحـى للأبد.. ولكن تلك العاصفة التي أعقبت تركه تهـز مركـب حياتك بعنف ولكنك تركته وتحررت، فلم تكترثين للإشاعات التي يطلقها عليك أو الكلمات الصادمة التي تتلقينـها.. إنـك الآن تتنفسين و تضحكين من القلب.. ملعونة هي الدنيا إذا لم تعطنا ما أردنا.. وملعونة قلوبنا إن رضيت أن تحترق تحت أي مسمى.. ولكن لم يقترب منها الجميع بدعوى الحـب الآن؟.. ماذا يريدون؟.. جسدها!!.. جلسة واحدة تجمعهم معها حتى يزول الفضول..حتى أنت أيهـا المتحـذلق، النـاثر للرعـب والطمأنينة في آن واحد في أعماقي ماذا تريد مـن مـاذا وراء كلماتك المنمقة المنتقاة التي تقطر حنانًا... أتريد أن تخطو على الطريق مثلما خطى مَنْ قبلك؟ ماذا تريدون جميعـا ألا إنكـم لملعونون جميعًا!.. حتى أصدقاؤك يريدونك بالإجبار أن توصلي كل واحدة منهن إلى حياتها وتعودين وحيدة.. لمـاذا ينتظـر الجميع منك أن تضحى وتمنحي.. وتمنحي وحينما تبكى وتترفي من ألم روحك فعليك أن تفعلينها وحيدة؟!!

****

في البداية كانت رؤية النيران ملهمة للفراشة فكانت تقترب بحذر ..ولكن شيئًا فشيء بدأ الحذر يتلاشى.. ليحـل محلـه الفضول، بدأت في محاولتها للطيران بجانب النيران.. لمـاذا؟.. لأن الأسطورة هي أن تظل تحلق حتى تحترق.. لترقصي رقـصة

أخرى يا فراشـــتي الجميلـــة.. ولترقـــصي بالـــشجن تلـــك المرة..ابدئي.

علاقات مكررة وأحداث مملة.. دائمًا ما كانـــت تتلاقـــى أعيننا قبل الآن ولكنني كنت أقف دائمًا على الحيـــاد ولكـــن خطوة وأخرى وجدتني أقف في مفترق الطريق بين مدينة الحزن ومدينة الشجن.. وكان على ألا أتردد.. الانتظار على المفترق لا يناسبني.. أنا امرأة يعز عليها الانتظار.. ويعز عليها أيضًا أن تعود لحظيرتك بعد كل تلك الليالي.. كنت قد قررت من زمن نزع ثوب الانتظار والانسلاخ مـــن جلـــدي والانغمـــاس في زحامهم .. زحام الآخرين ونجحت ولكن الآن لماذا ينهـــشني الحنين إليك .. أصبحت الآن أراك في كل شيء.. أصـــبحت فجأة كل الوجوه أنت.. وكل الأصوات أنت.. حتى جلـــدي اللعين المسلوخ بالرغم مني اكتشفت أنه لم يبتعد بل تروى قليلا وانتظرني ليساعدني في البحث عنك.. أنت.. أنت بعـــد كـــل الأيام.. اكتشف أنك لم تغادر قط..حـــضورك.. مـــا كـــان بالقرب منك حضورك كان في كل لحظاتي.. وفي حياتي كنت هناك في ذكرياتي .. قلبت أوراقي ليفاجئني أنك كنت هنـــاك تساءلت وأنا أقرأ.. هل كنت أعلم أنك ستقرؤها ذات يوم.. كنت أكتب أهدى كلماتي إليك .. لا بل اهديني أنـــا إليـــك كنت أتساءل وأنا أكتبها وأقرأها: لماذا أنت ؟.. ولماذا أنـــا ؟؟ صدمني وأنا أقرأ كلماتي سؤال عميق.. عميق.. بعمق تضاريس البوح في روحي : (أأحسن الحديث عنا في كل مرة أتمـــادى

لهوًا بذاكرتي وشوقي؟ ... أم هي رغبة نسيانك فقـــط ؟... أم هو الأمل في عودتك يومًا، لأريك رسائلي وفداحـــة غيابـــك المر.. وأريك أنني لازلت أحبك وأتنفس شذاك بحق.

***

لماذا يا فراشتي الصغيرة؟.. لمـــاذا؟.. كنـــت أتأمـــل كـــل محاولاتك لجذبي تأملتها وأنا أبتسم.. خدعك طـــيراني الـــدائم فحسبتِ أنني ذبابة يغريها المذاق الجميل لكي تلتـــصق بخـــيط العنكبوت كي تمصي عصارتها وتقتلينها.. أنت فراشة ولـــست أنثى عنكبوت لكي تجيدي القنص.. وأنا صقر يا طفلتي صـــقر لا ألتهم الضعيف.. ولكن لنلعبها علـــى طريقتـــك.. لـــنكن أصدقاء.. حتى وأنت تؤلمينني.. كنت أنتظر.. حتى فاتحتني بأن رائحته تحيط بك.. لم تصدقيني.. الألم لم يخلق كترياق للألم.. الألم والحنين هما مشاعر لا يصلح لهما إلا البعد كترياق والقلب المزق يصلح شرايينه بنفـــسه.. ولكنـــك أصـــررتِ علـــى العودة..فلترقصي يا فراشتي بالحنين الآن ..ارقصي..

ما لم أتوقعه أبدًا بعد انقضاء شهور طويلة أنني قد أعود وأن ذاكرتي لم تتفحم طوال تلك المدة.. حينما أحـــضرتك مـــن صندوق ذكرياتي فوجئت بذاكرة تكتسحني.... من قـــال أن الذكرى..حكر على الأماكن.. ؟؟؟؟ هناك ذاكرة المكـــان..

وذاكرة الحدث .. وذاكرة الكلمات .. وذاكـــرة الأرواح .. ذاكرة النظرات.. وذاكرة اللمسة الأولى.. والهمـــسة الأولى.. وذاكرة الجسد.. آه من ذاكرة الجسد تلك.. أتعلم انـــك قـــد ختمت على كل مكان اقتحمته سواء بنظراتك أو بلمساتك .. وسمت جسدي بوسم العبودية لك.. لا أعني عبوديـــة حـــريم السلطان أعني أن جسدي أصبح ملكًا لك... كنت أتوقع كل شيء وأي شيء ألا أن تُسرق مني حواسي فجأة.. بلا بطولات غرامية أخرى! .. بلا أي شيء ..فقط برائحة الحنين.. أيجـسب أن نتخلص من أجسادنا.. حتى نقطع عليها طريق العبور إلينـــا ؟؟؟.. صدمت بأنني في غفلة مني.. سرقت إليـــك.. داهمـــتني رائحة عطرك وبقسوة..رائحة عطر لازمني طوال فتـــرة قـــربى منك.. رائحة العطر الممتزجة برائحة جسدك .. اشتهاء القلب هو ما جلبها إليّ.. وفاجأني بعدها بتذكر دفء الـــضمة الأولى التقطني إلى حضن أتعبني لليال طويلة.. حتى أعترف — فقط — بشوقي إليك!..وها أنا ذا رغمًا عني .. أذوي شوقًا..برائحـــة الذكرى..بالرغم مني تحســـست كفـــي .. تحســـست حـــتى أصابعي.. كتفـــي .. عنقـــي .. وجهـــي .. و .. أيـــضًا .. جسدي!!..تتبعت حتى شرايين نبضي المـــذهول ..لأكتـــشف أنك تمر بدمائي أيضًا..وأنا أتحسس نفسي .. اكتشفت أنـــني أيضا أحمل ذاكرة على جسدي .. وكأني نصب تذكاري حي

لك .. تبلغهم "عينـــاك" أنـــك .. مـــررت بهـــذه الأنثـــى يومًا..لطالما.. راودني سؤال عن موقعي بين نـــساء كـــثيرات عرفتهن صداقة .. وربما عشقًا .. وربما محض شهوة خالصة هل من في مثل مكانتك يعترف بصداقة؟أو يمـــارس عـــشقًا ؟؟؟؟؟ (وحدهم العظماء تنصب التذكارات لهم) ... وأنت .. كنت عظيمًا في عشقك .. ثم في تحطـــيم حـــبي .. بفـــن القطيعـــة والرحيل!؟ تباً .. متى تتوقف هذه الذاكرة عن اصطيادي ؟

أئذا قطّعت من جسدي كل مكان اقتحمتـــه .. ورميتـــه بعيدًا.. أينتهي الأمر؟؟؟

***

ظلموك أيها القلب....وحَمّلوك الحـــب.....ثم لعنـــوك !!!..فلتبوحي يا فراشتي الـــصغيرة ولأسمعـــك ..ولتكتمـــل الأسطورة على أن أصمت وأن أراك وأنتِ تقتربين من النيران لتحرقك

_أنا محتجاله أوى.

_فاهمك ..

_لا مش فاهم.. فاهم يعنى إيه كل جزء فيا بيصرخ بينـــده عليه.

_نعم

ـأنا مش بحبه أنا بعشقه افهم بقى.

ـواضح.

ـوكل اللي حكيتهولي عنه..نسيته.. مش فاكرة أي حاجة..

ـلا فاكرة.

أتذكر القسوة .. واللذة اللتين حطمت بهما آخر معاقل حبي وكرامتي... أتذكر حنان اللهفة.. ووداعة القُبلة الأولى.. فعلت أشياءً لا أخجل منها ولكني أرفضها.. أتعلم لماذا؟ لأننا كنا فقط .. خارج نطاقي الوعي ..والرؤيا..كنت قدري .. ومن يفر من قدره؟!..ما لا تعلمه – أنني برغم الاستياء الذي ادعيته حينها.. وحذري.. وفرحي باكتشافي أنك تحيط بي .. تواجهني وتحاصرني بـ (ضمات وقبلة) – أنني وددت لو استزدت منها أكثر .. أنني أبقيت ذاتي عندها.. وأن عمري في لحظة .. تحول مني إليك .. دون أن أقصد !!

ما أكثر ما ألصقت وجهي بصدرك بعدئذ .. لربما سكنت نبضي أبدًا ... واحتفظت بك لأمتلكك لقلبي لي ولي وحدي فقط سألتك أن لا ترحل فرحلت !! لكنه الأمل فقط .. يقبل حين تصطادني ذكراك بنعومة .. والألم فقط ..... حين أرتطم موتًا .. بوقاحة واقعي!! ..ما زلت لا أدرك أنني أحرق

ذاتي وأرمي نفسي في بحار من التأنيب .. حينما آتي بك .. من ذلك الجحيم الذي كنته .. يوم قتلتني ! ..تبًا ما الذي يجعلـــك أملاً وألمًا ... حين تمر بعيني؟؟!

****

تسأليني أن تعودي يا فراشتي.. ومن أنا حـــتى أتـــدخل في أسطورتك يا فراشتي أنا الراوي فقط لست المتحكم في خيوط اللعبة.. فلتعودي.. من قال إننا يمكننا أن نغير الأقدار حتى لـــو عرفناها .. فلتعودي للتحليق بجانب النيران .. لترقصي بحـــب الألم واستعذاب الطعم المر.. لترقصي يا فراشتي

أتيت بك من مسافة ذاكرة قديمة.. قطعتها ما بين إحساسي بحرارة كوب من القهوة .. .. ووجودك ! لم تكن بأكثر مـــن مسافة عابرة للزمن.. ما تجاوزت من وقتها عمق خيبتي فيك! والآن وحدي .. أمام كوب قهوة .. وعلى حـــواف موجـــة باردة من الحنين إذا بوجـــودك عميقًـــا يـــشاطرني القهـــوة وحواسي !!ترى .. أي خيبة جديدة حملتها ذكـــراك لي .. في مكان اعتاد لقاءنا .. دائمًا؟؟!!

تردد شد وجذب علاقة لم تبدأ لتنتهي ..أين أنت ؟...أيـــن ذهب فارسها الجميل لماذا تغيرت؟ ...أيـــن رجولتـــك الـــتي عشقتها؟ ..وأين لمعة عينيك؟ أين ذهبت بها؟...كنا قد اتفقنـــا على الغياب واتفقنا على الرحيل ..فلماذا لم نتفق في أن نعود..

كيف ذهبت بل أين ذهبت..من هو ذلك الكائن الممـــسوخ.. حتى دعاباتك أصبحت .. لا يهم ما يلزمك فقط هو الوقـــت وسوف تعود كما كنت ..كما أحببتك دومًـــا..فقـــط هـــو الوقت..سأمنحك ما لا يرفضه رجل ..سأمنحك علاقة بـــلا أي مسئولية..علاقة سأتحمل أنا وحدي كل تبعاتها.. تطلـــب مني أن أنهي حياتي من قبلك سأفعل ..أن لا أردد شعرًا بعـــد الآن سأفعل، أن أغير أصدقائي، لون جلدي، أن أطلي غـــرفتي بلون الحنين إليك، سأفعل، تريدني أن أصبح أنا الطرف المتحمل لكل التبعات حسنًا سأعفيك من أي مـــسئوليات وســـأحمل وحدي كل شيء فقط بالله عليك لا تبعدني عنك اجعلني هنا.. أنا حبيبتك وطفلتك الصغيرة فافعل بي ما شئت فقط لا تتركني

****

أعود إليك أيها الصديق..تعبت من اختراقي للأحداث أليس كذلك؟ ..لا تيأس هي آخر مرات إقحامي لك فيها..أيمكن أن تسرد علي جزءًا من يومك ..لا لست أتحدث عـــن يومـــك العادي ..بل عن يومك بعد أن عادت إليك..أيمكن أن تلتفت إليَّ..المسرح معد لك ..فابدأ.

أستيقظ من النوم أسحب سيجارة الحشيش ألـــتقط منـــها أنفاسًا وأبتسم –الحتة دى هايلة دماغها رهيبـــة — هاتفـــك لم

يتوقف عن الرنين ..إنها تتحدث..أحدثها قلـــيلاً...وأغـــسل وجهي المرهق من أثر النوم..وأذهب للعمل أنت تعرف بالطبع كيف يصبح يومك حينما يكون عليك أن تعمل اثنتي عـــشرة ساعة متواصلة!

الاشتياق يكون لسريرك لا لشيء آخر.. اليوم كان قبلـــها عمل وبعض النساء وسيجارة الحشيش.. وأصبح بعد عودتهـــا سيجارة الحشيش ومكالمتها والعمل... لكنني أشعر بالملل يجتاح كياني... ربما لا ليس الملل.. بل الرغبة في شـــيء جديـــد.. لم أرجعتها من صندوق الذكريات الآن لا تعلم هي لا تكف عن المحاولة كطفل يتعلم الحبو.. وحياتك أصبحت مجرد معادلـــة لا تحتمل وجودها..تلتقط هاتفك لتحدثها:

ـــآلو..

ـــأيوه يا...

تقاطعها:

ـــأنا محتاج وقت

ـــإيه؟

ـــمحتاج وقت.

ـــوقت لإيه بالضبط؟

ـوقت عشان أفكر في علاقتنا و...

تقاطعك:

ـنعم وقت ...

ـأيوه يعنى محتاج إننا نبعد عن بعض فترة وكده، إحنا ينفع نبقى أصحاب..

ـلا متفكرش..سلام

****

الألم يا فراشتي .. الألم هو ما تنطق به عيناك الآن .. خيبة الأمل الممزوجة بالألم هي أقوي مما تستطيع أجنحتك أن تتحمله لتتوقفي عن الرقص قليلاً ولتريحي شجنك وجناحك الذي تعب من كثرة التحليق هنا على يدي.. لأنزل أنا إلى قلب الحدث ولأتخلى عن دور الراوي قليلاً..

ـ أنا موجوعة أوي..

ـعادى..الألم مهم عشان تطهري الجروح..

ـجرحني أوي..ابن الـ(...) بجد .

ـممكن تتكلمي على فكرة..

ـوممكن أكتب..

ـممكن..

****

أنريدين أن تخلقي يا فراشتي.. خلقي وارسمي بلون الحـــنين والوجع أحلي ألوانك.. ولكن هل ألمح احتراقًا بين جناحيك أم هو انعكاس الضوء في عيوني.. خلقي بأي لون تحبنه يا فراشتي الصغيرة ...

أيكون الألم هو ما ينطق أوردتنا فيأمرنا بأن نخترق وجعًا... أم نحن من يطلق بإرادتنا دفقات مـــن الحـــنين والوجـــع إلى جوارحنا ؟؟ ركضت بالحياة .. وآلمتني.. أحرقتني بـــإرادتي أو بالرغم مني.. أتلك هي النهاية؟.. لم تـــصبح النـــهايات الـــتي وضعوها لي دائمًا بفعل فراق أو بفعل غدر أو قـــدر نهايـــات مملة.. لم قدر لها دائمًا أن تمنحني الإحساس باللامبالاة ..مربك حضورك الآن أيها الألم مربك أن تصبح مزيجًا مع اللامبـــالاة، من يا ترى كان سيحاسبنا على ذاكرة نحملها بمفردنا.. ببساطة لا أحد فقط كنت أفتعل الأحداث لأرتمي في نـــيران ..أنـــا لم أجرح منك لماذا لأنك ببساطة أنت لم تعـــد أنـــت ...حـــتى لحظات مرورك المربكة جدًا انتهت..أنت لا تفهم أنت فقدت احترامك لذاتك ففقدت أنا احترامي لك.. إلا أنني كنت قـــد بدأت أعتاد التنبؤ بأشياء كهذه منذ فترة، منذ محاولتي الأخـــيرة للعودة.. واعتدت أكثر سماع صدى انهياري بالـــداخل كلمـــا استبسلت في مقاومتك بادعاء حبك دون قصد.. أو الانجراف بموت نحو شوقك دونما قصد. ولكن بدون قصد لم تعد أنت

****

لمادا على دائمًا أن أتخلى عن دور الراوي..يـــصيبك هـــذا حما بالتشتت كما يصيبني أنا أيضًا.. ولكن لابـــد أن تعتـــاد ذلك فطبيعي أن أنهي أنا الأسطورة كما بـــدأتها.. لأعـــود إلى مسرح الأحداث مرة أخرى!

ـــ بيتصل ..

ـــ إيه؟

ـــكل شوية بيتصل كل شوية...

ـــطيب إيه ما تردى

ـــوأرد ليه..وبيتكلم من نمر غريبة كمان

ـــ غريبة دي ..

ـــههههههه..نتكلم جد شوية بقى ..إنت بتحبني؟

ـــإيه..

ـــسمعت.. بتحبني؟

ـــوافرضي..

ـــمفيش فروض..

ـــولو

ـــطيب وبعدين

ـ مفيش

ـ اخطفني... أنا عارفة إنك تقدر بجد اخطفني من اللي أنـــا فيه أنا عايزة ألقى نفسي تاني عايزة أرجع بجد.

ـ مينفعش..

ـ ليه

ـ لأني ما أستاهلش كده منك عارفة إيه الفرق بين الصقور والنسور؟

ـ الاثنين بيطيروا

ـ الصقور والنسور طيور جارحة وبرغم إن الاثنين لـــيهم نفس الكبرياء إلا إن النسور بتآكـــل الميـــت... أو الـــضعيف الصقور بترفض ده مش بتلتهم فريستها غير وهي قوية...

ـ فهمت وإنت إيه بقى

ـ أنا صقر مينفعش أبقي نسر بجد مينفعش.. أنـــا هقـــف جنبك لحد ما ترجعي تاني ساعتها لو اخترتيني هبقى سعيد إني أكمل عمري معاكي مش سعيد بس لا فخور كمان

ـ يمكن

ـ لا أكيد

****

ثمـــة أنـــاس .. تخنـــق ذكـــراك قلـــوبهم .. فيحيـــون!
وثمـــة أنـــاس.. تخنقـــك ذكـــراهم....فتمـــوت!!
وما بين حياتهم وموتك .. تصير قبرًا يلتحف بنفسه، تعد كـــم شخصٍ مر بك وسكنك ... ولا تعي أنك من خلالهم أيضًا.. تدفن روحك!!

في الأساطير القديمة حدثونا عن فراشة.. فراشـــة حلقـــت وحلقت وأبدعت اقتربت جابت الأرض والعالم وعنـــدما رأت النيران اقتربت واقتربت لتحترق... فقـــط حينمـــا التقطتـــها يداي.. قبلتها وأطلقتها..... حينما كتبت الأســـطر بـــأعلى سألت نفسي

ما ذنبي إن كان حبّك هو ما قدر لي..!!

وما ذنبي إن طعنك أحباؤك من قبلي !!..

وما ذنبي إن كنت لا تعـــرفين مـــاذا تريـــدين ... مـــن الأساس!!.وما ذنبي إن كان خطئي أن ما هو مباحٌ لي .. محرّم عندك!!

طارت حول أذني وهمست بهم لأنك أحببتني وهـــل بعـــد الحب ذنب!!

ساديزم

" الطريق ليست كالملامح ..الملامح ترسمها الوجوه من حولك ..أما الطريق .. فتحفر نفسها عميقًا من تحت قدميك فلا يبقى لك سوى أن تسلكها ..!!"

"جزء من القصة"

السادية مصطلح يستعمل لوصف اللذة الجنسية التي يتم الوصول إليها عن طريق إلحاق أذى جسدي أو معاناة أو تعذيب من قِبل طرف لطرف آخر مرتبطين بعلاقة من أي نوع، سميت بالسادية نسبة إلي الماركيز "دى ساد" الأديب الفرنسي المشهور والذي تتميز شخصيات رواياته بالاندفاع القهري إلي تحقيق اللذة عن طريق تعذيب الآخرين والسادية تعني الحصول علي المتعة من خلال ألم ومعاناة الآخرين سواء كان ذلك نفسيًا أو بدنيًا أو جنسيًا

****

ـــسيدي.. أنا أحبها أحبها بحق..

لا تنظروا إليّ كمجنون فقد أنفقت عمري بأكمله..منـــذ كنت طفلاً صغيرًا وأنا أحلم بها

سيدي.. لطفا أعدها إليَّ لماذا تنظر إلى يـــا ســـيدي ممثـــل الادعاء بكل تلك السخرية هي ملكي فأعيدوها إليَّ والآن.

***

حسنا لم أعرفك بنفسي بعد ...أنا مجرد ((مغفل)) مغفـــل ضاجع غبـــاء تـــصرفاته، اســـتخدمه الكـــثير ممـــن حولـــه خبـــثهم...غـــدرهم...مكنـــه مـــن إتقـــان ســـلاح الضعيف.....الحيلة...والخبث لعبة الضعيف التي غالبًـــا مـــا تقهر الأقوياء

****

ـإنت و"سارة "؟

ـإنت ..أنت يا "شريف"..صاحبي الوحيد..

ـصدقني الموضوع جه كده... أنا حاولت كتير بس هـــي كانت

لحوحة أكتر من اللازم.. بص أنا هقطع علاقتي بيها..

ـلا.. ليه؟..

ـمش ليه..أصلاً كل الموضوع إنها بدأت تقرب مني وأنـــا بجد مش لاقي فيها عيب و.. ..

ـخلاص ..يا "شريف".

ـخلاص إيه؟!.

ـمبروك...

عندما لمح نظرات الانكسار في عيني صديقه.. ابتسم

****

كنت أعلم أنها خانت "إبراهيم" معي.. وأنه لازال يعاني من أوجاع قسوتها التي استخدمتها في صناعة كلمات آخر لقاء ختمت به مسلسل حبهما مًعا..ولكنني تعمدت أن يعلم

*بالأمر.. كنت أتلذذ بما يحدث _ أتذكر الأمر بفخر الآن_*

حينما زرعت بينهما بذور الكراهية وأنا أبتسم. .. الأمـــر كان ممتعًا للغاية .. المشكلة كلها كانت تكمـــن في الاختيـــار الآن..بمن سأبدأ؟!.. بها؟.. أم به؟!.. ولكن لأن "إبـــراهيم" _ الذي كان يفتخر بقوته_ كان يحبها أكثر مما ينبغي.. لـــذلك أصررت على أن أري في عينيه الانكسار..قبل أن أجهز عليها هي.

****

_إنت ساكت ليه؟

_ لا مفيش..

_مفيش إيه؟.

_زهقت.

ـــمن إيه؟!

ـــبصراحة؟

ـــآه.

ـــمنك.

كلامك مكرر إنتي نفسك شخصية نمطية جدًا..بصي يـــا "سارة" بصراحة أنا شايف إننا غلطنا.. لما قربنا من بعـــض.. تفتكري ممكن نفضل أصدقاء؟.. بجد أنا مش قادر أكمل.

وهى تبكى وتنهض لتبتعد.. أشعل ســـيجارته وابتـــسم في رضا.

****

تعلمت الدرس منذ البداية ..."أنا أشتهي ما في يـــديك إذن يجب أن أحصل عليه" .. مهما كلفني الأمر.. المهم في النهاية أن أنتصر عليك حتى وإن لم تنازلني فأنا سأهزمك.. لا بل سأجعل نفسك تهزمك.. وأنا سأظل بجوارك الصديق المخلص في حـــين أنني أنا من يدمرك.. بل وأتلذذ بأن أدمرك...

****

الطريق ليست كالملامح ..الملامح ترسمها الوجوه من حولك.. أما الطريق .. فتحفر نفسها عميقًا من تحت قدميك فلا يبقى لك سوى أن تسلكها ..!!

لا أتذكر تحديدًا متى بدأت أستمتع بذلك؟.. ربما يوم رأيت أبي وهو يهوي على وجه أمي بالصفعات .. من خلف باب غرفتي.. أو ربما حينما لمعت عيني وأنا أنظر لعربة جارنا التي قذفتها بالحجارة ليصرخ البائس.. حقيقة لا أعرف تحديدًا!!.

حتى في مناولتي للحب أو الجنس كنت أستمتع دائمًا بالعنف..كيف يمكنك أن تقبل حبيبتك بدون أن تجذب شعرها؟..كيف لا تستمع وهي تضرب؟.. صدقني هكذا يجب أن تضاجع الدنيا والنساء.. بالقوة والقوة وحدها.

****

_"شريف" .."شريف محمود"..

_أيوه تعرف إيه عنه؟..

_شخص غريب أوي يا باشا.. ساكت على طول وكلامه تقيل ويخوف مش عارف ليه.. بس أنا على طول كنت بخاف منه.

****

أذكر ألمي من قبضة يدك حينما ضـــربتني .. لم أســتطع أن أرد عليك ضربتك ..أنت الأقوى...لذلك يومها ابتسمت أصررت أن أصبح آخر غير ذلك الضعيف... حسنا أنـــا ســـأهزمك.. وهزمتك..! واستمتعت وأنت تتلقى اللوم مرات كثيرة تكـــاد تجن تنظر حولك لا تعرف أن صديقك ومستشارك الصغير هو من يفعل بك كل ذلك..حسنًا!!.. بالخداع وحـــده تـــصنع لنفسك حربًا من الوهم..!

****

حلمي بسيط للغاية حلمي هو أن أصبح كائنًا من نار ولكـــن مرئي.. تخيل.. حينما يصبح عدوك كائنًا ناريًا!!.. مهما كانت قوتك فإن ضربك للنار حتمًا سيؤلمك بينما سيجعلها تتراقص قليلاً مع ترنح الهواء وبضع من الشرارات تفيد غرور النار..
لا يستطيع أحد مهما بلغت قوته أن يقف بثقة أمام النار لمـــدة نصف دقيقة!!! أليس حلمًا رائعًا لا بزوجة أحلم.. ولا بطفل.. كل هذا هراء! بل حلمي هو أن أصبح من نار..

****

ـ"شريف محمود".. آه طبعًا أعرفه من وإحنا صـــغيرين وهـــو جارنا بس كان لوحده حتى وهو بيلعب كان بيلعب لوحده.
بس كان عنيف شوية ...لا عنيف أوى

بس اللي كان بيميزه إنه على طول ساكت.. يعنى بينطـــق حرفين تلاتة بالكتير أوي!

****

ترى.. هل لو أصبحت نارًا؟.. هل سيستطيع الناس إحصاء أخطائي؟.. هل سوف يلومونني على أي شيء؟

النار كائن مقدس.. والجميع يستمتع بالنار.. حتى وهى تؤلمهم!.. لماذا لم أخلق نارًا منذ البداية؟!!

****

في كل صباح كنت أقف أمام محطة مترو الأنفاق.. أقـــرأ جريدتي وأقرأ البشر أهوى أشكالهم وألوانهم....أتأمل فقـــرهم وضعفهم فتصيبني رعشة وأشعر بنـــشوة وبقـــشعريرة بـــاردة تزحف على عمودي الفقري فتجعلني أنتشي، أتأمـــل صـــعود الركاب ونزولهم لهاثهم وراء لقمة العيش..ترى لو استطعت أن أجعلهم جميعًا عبيدي ..وأن أقف بكرباج كبير فأجلدهم جميعًا كم سيكون الأمر ممتعًا حينئذ؟!

من حين لآخر أمد قدمي ما بين الزحام فيـــسقط مغفـــل آخر.. وأنظر إليه وهو يحاول أن ينهض ينفض التـــراب مـــع كرامته.. وأنا أبتسم.. لا يمكن أن تمنحك الحياة كل هذه المتعة

ببساطة... أنظر إلى ساعتي حان وقـــت الـــذهاب للعمـــل .. الجميع يهابني.

هناك ..أستمتع دائمًا بإيجاد الأخطاء وبإلقاء اللوم ..ولكن حتى ذلك الأمر البسيط أخذوه مني.. بأن جمـــيعهم صـــاروا منضبطين ــ ربما أكثر من اللازم ــ وبدأت أنا أفقد اســـتمتاعي بإشعارهم بالنقص ..كم هي مملة تلك الحياة!.. لابد من وجود متعة أخرى؟.. يا إلهي!.. لما لم أخلق نارًا منذ البداية؟!

****

هي!!.. ومن تكون هي من الأساس؟.. إذا قورنت بـــه.. مجرد ممرضة في عيادة طبيب نفسي نـــصف مـــشهور.. جـــل أحلامها فارس أحلام بسيط.. تعتقد صديقتها بأن حبها لعلـــم النفس هو ما يجعلها تعمل هنا..لا يعلمـــون أنهـــا لا تهـــوى المجانين.. بل كل ما في الأمر أن الوظيفة بمرتب مغرٍ وقريبة من المترل فقط.. بالإضافة إلى أن فقر أسرتها وحياتها البائسة جعلها فقط تنتظر يوم أن يأتي ابن الحلال لينقذها من ذلك البـــؤس.. لماذا لم يأتِ إلى الآن؟!

****

لا يمكنك أن تشعر أبدا بما أشعر اليوم.. لا يمكنني أنا نفسي أن أصف لك حتى الشعور.. تحتاج أن تكون قطًا يقف علـــى

مخالبه منذ شهور ووجد فأره الصغير في النهاية!!.. تحتـــاج أن تصير وحدك في صحراء لشهور ووجدت بئر مـــاء وواحـــة.. تحتاج أن تكون أشياءً كثيرة ...ولن تقـــدر حـــتى علـــى أن تفهم...حينما رأيتها!!

حسنًا.. هي من سوف يدخل شـــيئًا جديـــدًا إلى حيـــاتي البائسة... وهى تساعد تلك العجوز بهالة الملائكة التي تكـــاد تنير رأسها ..وهى تخطو وتمنح العابرين ابتسامة بدون سبب.. حسنًا.. يا صغيرتي ...أنتِ من انتظر!

****

سوف تسقطين.. قوانين الجاذبية تقول إن التفاحة ســـوف تسقط.. وقوانيني تأمرك بأن تقعي صـــريعة حـــبي الآن..أنـــا آمرك.. لا تستجيبي!!.. حسنا سوف أدمرك..سوف تـــرين.. لسوف ترين ماذا سوف أفعل!

****

مر أسبوع وأنا أتابعك ..ولا تلتفي إليَّ.. حتى لا تنظري إلى أحد!.. فقط تنظرين إلى الطريق أسفل قدميك.. الصيد صعب كل يوم أجلس ..أنتظرك.. وأنـــت تـــصعدين إلى عملـــك.. وأتابعك إلى أن ترحلي.. أدخن وألاعب النار براحتي وأصـــبر

نفسي إلى أن فقدت الصبر على أن أصعد والآن ..حسنا ها أنا ذا أمام الباب!

دكتور "محمد المستنصر بالله" دكتوراه في الأمراض النفسية والعصبية.

تعملين هنا؟!..حسنًا.. حسنًا أنتِ لم تلتفتي ناحيتي من الأساس.. عندما قدمت لم تلاحظي طوال الأسبوع من يحصى عليك الأنفاس.. حينما وجدتك تبتسمين لي مرة أخرى.. شعرت بنشوة تجتاح كياني فتعصف به.. نشوة من بدأ يرى الصيد يدخل إلى الشباك وهو مبتسم.. حسنا يا صغيرتي سوف ألتهمك.. بالله لا تدعيني أنتظر أكثر من ذلك واسقطي!

****

ـ يا ترى دكتور "محمد" موجود؟

نظرت إليه:

ـ آه..

ـ ممكن أحدد ميعاد.. ولا ممكن أقابله النهارده على طول؟

ـ لا.. ممكن تستناه شوية..حضرتك المريض؟.. ولا واحد قريب حضرتك؟.. لو قريبك يبقى لازم يكون معاكي.

ـ لا.. أنا بس بحلم أحلام مزعجة وكنت عـــايز الـــدكتور يساعدني.

ـ طبعًا.. طبعًا.. اتفضل..شاي حضرتك إيه؟

نظرت في عينيها الخجولتين:

ـ مضبوط.. مضبوط أوي.

وابتسمت.

****

النار لها قانون واضح وصريح.. أما البشر فهم ضـــعفاء ولا يتحملون أن يصيروا للحظة صرحاء.. أو بـــنمط واحـــد آيـــا يكن!!

ما ذنبي أن جسدي خلق هشًا؟... ولماذا لم أصـــبح مـــن جمراتها أو أحد موجات لهيبها المتأجج؟.. ولكن عقلي كـــان كجمرة منها.. من النار!.. انتظر يا طبيبها المختـــال بعظمـــة الطاووس.. تريد أن تحللني!..تريد أن تلعبها معي!؟.. لا أظـــن من يلاعبني لابد أن يلعبها على طريقتي..

ولكن لماذا لا أعطيك الفرصة لتختبر ذكاءك؟..حسنا.. ابدأ اللعب.

****

ـأستاذ "شريف" صح؟

ـأيوه.

ـاتفضل حضرتك ارتاح.

ـمش المفروض أنام على الشيزلونج؟!

ـهههههه.. لا طبعًا.. مفيش مفروض.. اللي يريحك اعمله.. عايز تمدد على الشيزلونج؟

ـلا أبدًا.. بس أصلى بشوفهم في الأفلام بيعملوا كده.

بابتسامة الطبيب العارف المسك بزمام الأمور أنهى سخريتي.. والتفت إليَّ:

ـها ..خير بقى؟

****

"قانون الجاذبية يأمر التفاحة أن تسقط وأنا آمرك أن تسقطي و الآن.."

****

ـتعرفي الدكتور قالي إيه؟

ـلا معرفش.. يا أستاذ "شريف".

تقولها وهي مبتسمة.

أنتظر قليلاً أنظر إلى العيون الجميلة والوجه الذي يشي بسوء التغذية برغم مساحيق التجميل.. والجسد المتناسق.. والحـــذاء البسيط.. أسحب نفسًا من سيجارتي وأنفخه بـــالقرب مـــن أذنها.. وأنا أهمس بالقرب منها:

ـــقالي إن حل مشكلتي في الجواز.

مع ابتسامتها لمحت خدودها والدم يملؤهم ليشي بالخجـــل وبأشياء أخرى!

****

غريب أمر شريف هذا!!..منذ أسابيع أنا أتـــابع ســـلوكه وتصرفاته.. لا شك أنه يمر بمشاكل نفسية.. أنت سايكو أليس كذلك؟ حتى وإن جعلتك تمر باختبارات الإسقاط، والرســـم، لن أعلم ما هي درجة مرضك.. تلزمنا فترة أطول.. لابـــد أن نقترب أكثر.. لابد أن تضع أنت أول الحروف وتدعني أكمل ما بين النقاط.. حسنًا فلنبدأ!!..

ـــبتعرف ترسم يا "شريف"؟.

ـــلا مش أوى يا دكتور؟

ـــطيب تحب نلعب شوية؟

ـــنلعب!!

ـآه ...بص دي ألوان واختبارات بسيطة.. ممكن تساعدني فيهم؟.. ارسم أي حاجة أول حاجة تيجي في بالك ارسمهـــا.. تقدر؟!

ـآه طبعا

جميلة هي ألعاب ذلك الطبيب.

حسنًا.. لولا أنه لزج، لكان من الممكن أن نصير أصدقاءً.. لم تتسع عيناه وهو ينظر إلى نتائج الاختبارات؟!!

****

حسنا فلتعترف.. المشكلة كلها يا "شريف" كانت أنـــك أحببتها!!.. غريبة أن تحتل حياتك أنت بالذات ممرضة بـــسيطة في عيادة نفسية!.. وعائلتها ربما لا تملك قوت يـــومهم!... لا يهم.. المهم أنك أحببتها...وهى تستجيب لكـــل رغباتـــك.. تنصاع لتتلقى اللوم.. وتبرر كل تصرفاتها.. حـــتى الطبيعيـــة.. وتبكى في حضرتك.. هكذا يجب أن تكون المرأة.

ربما سوف تندهش من رغباتك الـــشاذة قلـــيلاً.. ولكـــن بصمتها وتبريراتها ومحاولة إخفاء ربكتها ورعبها في حـــضرتك ستعتاد.. سأتزوجها!

****

لم تصارح "سمر" أحدًا بمكان مقابلتكم الأولى، من سيهتم بذلك أصلا!!.. الطبيب نصحها بأن تلتزم العقل قليلاً..هو يشك أنه سايكو.. من سايكو هذا أساسًا؟.. طبيبها هذا يغوي دائما أن يتكلم بالألغاز.. لقد جهز لها قصرًا!!

قصرًا لم تكن تحلم بمثله.. فلماذا ترفض؟.. بل قل لماذا تفكر أصلاً؟.. صحيح أنه غريب للغاية ويستمتع دائمًا بجعلها تبدو غبية وضعيفة.. ولكنها لم تعارضه قط.. كيف تعارضه وهو حلمها بأن تخرج من حياتها التي كرهتها؟.. وماذا جنت هي من الكلام المعسول من قبل إلا الانتظار إلى أن قاربت الثلاثين بدون زواج؟!..ستكون غبية إن رفضت عريسًا كهذا!

****

ليلة فرحهم كان صامتًا للغاية لم يشارك في الرقص ولا في غيره!!.. انبهرت عائلتها بالفندق الخمس نجوم.. وبفستان الفرح الذي تكفل هو بإحضاره.. لم يدعها تنهض حينما أشارات لها ابنة خالتها لتشاركهم الرقص بنظرة مسح الفكرة ووضع مكانها رعبًا كان كافيًا لتنهار فكرة وقوفها على قدميها من الأساس.. حتى حينما جلسوا في السيارة التي استأجرها لتلك المناسبة طوال الطريق لم ينبس بحرف..

وهى تصعد السلالم وضعت ألف فكرة وحلمًا لما سيحدث بداخل غرفتهم.. وهى تحل أسر شعرها.. وتخلع

فستانها..وتعطر جسدها _الذي أرَّق نومها كـــثيرًا_ كانـــت تفكر في كيف سيبدأ هو.. تضع العطر وتبتسم.. وهي تتذكر كلمات أمها وخالتها وأصدقائها.. ابتسمت وهي تتذكر كـــل تلك الأشياء.. مجرد وجودها مع رجل أساسًا يـــضع مليـــون احتمال.. ولكن لماذا يبتسم هو بهذا الشكل الغريب إنه يجرهـــا جرًا!

فوجئت به يقيدها...أحست أنه يقهرها لا يقبلها ..يكسر عظامها لا يحتضنها....في لحظات انتهت كل أحلامها أصـــبح كل أملها هو أن تنتهي من هذا التعذيب..صـــرخت حينمـــا لمست ســـيجارته المـــشتعلة جـــسدها..نظـــرت في عينيـــه وصرخت..وهو يضحك ويكممها ..دخلت في شبه إغماءة.. حربًا ضروسًا ما يفعله ليس حبًا ولا زواجًا ولا أي شيء بـــل حرب والتهام تعذيب بدون ذنب أغمضت عينيهـــا وبكـــت بدموع تنتزعها من آلام جسدها.. وهى تلعنه وتلعـــن كـــل شيء.

ودخلت في إغماءتها مرة أخرى .. حينما انتهى.. أحست بانتهائه حينما لسعها بسيجارته وهو يضحك بشدة.

****

_اصحى يا "شريف".. أنا خايفة.. شريف.

_مالك يا "منى" ؟

_بابا جه.

نظر من الباب هو وأخته "منى" وهم يرتجفون.. كان يحادث أمهم نظروا من خلف الباب المغلق إليه..

_أنا يا بنت الكلب يا زبالة؟.. أنا مش بصرف عليكي؟.

_كفاية يا سي "محمود".. مش هتتكرر تاني.

_تاني؟.. هو أنا لما أسيبك هيبقى فيكى حتة سليمة أصلا؟

وأمام عيونهم الخائفة انتزع أبوهم الآيش (حزامه المـــيري) ونسله أمامهم على جلد أمهم وهي تصرخ.

****

سوف تؤنبه وبشدة... ربما كان مخمورًا بالأمس..بالتأكيد كان مخمورًا ...لا عقل سليم يجعله يفعل ما فعله... جسدها

به كدمات لا تراها ولكنها تشعر بها .. لا تستطيع الوقوف على قدميها حتى..!

_لماذا؟!..

سؤال واحد هو ما كان يلح عليها.. لماذا؟

سوف تشتكي لأمها.. بل للجميع!.. لن تسكت.. سوف تتركه مهما كلفها الأمر..رماد سجائره لازال عالقًا بجسدها.. إنه مجنون!.. بحق مجنون!!

****

أظهر حبه لها الأمس بحق.. يا الله!!.. كم أصبحت الحيـــاة ممتعة!

لأول مرة تشعر بأنك نار وتحرق من تحب وهـــى تحتـــرق وبكل بهاء...حسنا بأشياء بهذه الصورة تكتمل... أمس يا لهـــا من ليلة!!

لم تستمتع منذ سنوات بهذا الشكل.. أغلقت الباب خلفك بالمفتاح وأنت تهبط.. وفصلت الهاتف بعد أن جعلتها تحـــدث أمها أمامك... الليلة ستفاجئها بحق.. أحضرت كرباجًا كـــبيرًا وعصا.

اليوم يا عروستي الجميلة هو الاحتفال الكبير.

****

حينما عرض عليك أن تحدثي أمك لم تستطيعي أن تنطقي بأي حرف.. لا بالاعتراض ولا بأن تنهريه..عيناه بهما رعـــب يجعل جل أمانيكِ هو أن تبتعدي عن مرماهما!

تنظرين إليه وأمك تتحدث فرحة بكِ.. برؤيتك عروسًـــا.. لم تستطيعي أن تنطقي لها بحرف وهي تسأل بخبث عن نومك ليلة أمس..وحين أنهى المكالمة وخبأ الهاتف..بكيتِ.. ولكـــن فكرتي قليلاً بعد أن رحل حتى وإن كان قد تركك تتحدثين.. كيف كان بإمكانك أن تدمري كل تلك الفرحة؟!.. كيـــف تستطيعين أساسًا أن تصارحيهم؟.. بأي كلمات سوف تصفى بها حالته..وكيف يمكن أن تتقبل أمك أن زوج ابنتـــها مختـــل وللغاية!!

كيف يمكنها أن تتخيل أن ابنتها ترتعد من رؤية من حسبته فارس أحلامها .. حينما تنتابه تلك الموجـــات..يتحـــول إلى وحش كاسر لا يـــشرب إلا مـــن دمائهـــا.. ولا ترويـــه إلا صرخاتي.. يستمع إليها في استمتاع كعاشق ..هو مجنون بحق.. في الطبيعي يكتفي بتوبيخك ...ولكن حينا ينظر إليك بنظرته

يا الله أما من نهاية؟.. أما من نهاية!!

***

كنت قد أيقنت من أن شريف سادي..ســـادي بحـــق.. لم أكن أعلم أين اختفت "سمر"؟.. منذ فترة وهـــى لم تـــأت.. علمت أنها تزوجت وأنا في رحلتي لحضور المؤتمر.. ولكـــن لم أتخيل أبدًا حينها بأنها خالفت نصيحتي بأن تتـــروى.. بـــل لم

أتذكر الموضوع من الأساس.. لو فقط تروت!.. وسألت عما تعنيه كلمة سادي.. حينما راجعت حالته وأنا في الطـــائرة وفي فندقي.. حينما أفرغت الشرائط.. تأكدت من صحة تحليلـــي الأول له.. كلماته حول النيران ونظريـــة الألم والاحتـــراق.. تأكدت من أنه سادي نموذجي.. بل ومن النوع الأخطر.

ليس من النوع الذي يستمتع بإلقاء اللوم بـــل إن ضـــرره بالتأكيد يتعدى ذلك!

لو كان الأمر بيدي.. أو لو كنا في انجلترا مثلا أو أي دولة تعلم أهمية علم النفس.. لكنت كتبت توصية بأن يحتجز لـــدفع ضرره عن المجتمع... ربما.. ولكنك تعلم دون غيرك أن ذلـــك مستحيل.. مستحيل كما هو مستحيل أن تعـــالج الشخـــصية السادية أو أي فرع من الفروع السيكوباتية عمومًا!!

*****

_لذلك فكما ترى يا سيدي القاضي أن المتهم وعلى مدى أسبوعين متواليين حبس تلك البريئة وقام بتعذيبها وهـــو مـــا كشفه الطب الشرعي ..ليجدها في النهاية جثة من آثار خنقـــه وتعذيبه وحرقه لجسدها بالسجائر المشتعلة...سيدي إنني هنا لا أطالب بأقصى عقوبة للمتهم فقط بل طلبي أن نـــرحم أهـــالي

الضحية من حزنهم وألمهم في عروسهم التي خرجت من بيتـــهم عروسة لتعود وهى جثة

الدفاع..

قبل أن يتقدم المحامي الذي عينته لي المحكمة أرفـــع يـــدي مستجديًا:

ـ يا سيدي.. هل يمكن أن أدافع عن نفـــسي؟.. أيمكـــنني ذلك؟.. حسنًا.. أيمكنك أن تسمع أقصوصتي؟.. أنا يا سيدي النار..النار التي تشعل بها سيجارتك ..وعروستي أنا أحبـــها.. أحبها بحق ..

لا تنظروا إلى كمجنون فقد أنفقت عمري بأكمله..منـــذ كنت طفلاً صغيرًا وأنا أحلم بها

سيدي لطفا أعدها إليّ.. لماذا تنظر إليّ يـــا ســـيدي ممثـــل الادعاء بكل تلك السخرية!!.. هـــي ملكـــي فأعيـــدوها إليّ والآن..كل ما في الأمر هو أنني لعبت معها قلـــيلاً.. كنـــت أضغط على عنقها...أضغط وهى تصرخ لا يمكنك أن تتخيـــل المتعة ..وفجأة كما تسقط لعبة الطفل الصغير حينمـــا تنتـــهي حجارتها..سقطت هي.. هذا هو ما حدث سقطت فحملتـــها وزنها أصبح كالريشة لا أعلم لماذا مع أنني أحضرت لها طعامًـــا

كثيرًا ..أخذت أحدثها وأنهرها بل وأضربها حتى وهي لا تستجيب..حينها أخذت في الصراخ والبكاء.

سيدي فضلاً أعدها إليَّ من فضلك يا سيدي ..لا تنظر إليَّ كمعتوه..أنا النار.. أيمكنك أن تلوم النيران على أنها أحرقتك؟!!..أنت من غرك لونها المبهر فاقتربت لتحترق..

يا سيدي أعدها إليَّ من فضلك والآن ...

"آسر"

"إن" النفوس هي بيوت أصحابها، فإذا طرقتموها فاطرقوها برفق"

"علي ابن أبي طالب.. كرَّم الله وجهه"

قبل البداية :-

مرض "التوحد" هو نوع من الإعاقات التطورية، الـتي تـصيب الأطفال وتسبب متاعب كثيرة لهم ولأسرهم ويـسبب مـشاكل في التفاعل الاجتماعي، وتأخرًا في النمو الإدراكي، وفي الكـلام، وفي اكتساب اللغة لدى الطفل، وضعف في العلاقات الاجتماعية مع من حوله، يتصف التوحد بوجود حركات متكررة للطفل، و اهتمامات محددة.

* * *

مع دخول "علاء جودة" اليومي من باب الشركة الرئيـسي بقامته المتوسطة نسبيًا وبذلته الأنيقة للغاية ونظارته الشمـسية الباهظة الثمن.. يسري التوتر في أرجاء الشركة كلها، كمـا تسرى النار في مستودع للأخشاب برعاية الريـاح الهادئـة.. الموظفون الهادئون يتحركون، بسرعة كبيرة بنـشاط وهمـة، وخوف ظاهر بين مكاتبهم في تساؤل عما سيفعله بهم دراكولا اليوم!

*****

ما الضرر في تعريف بسيط؟

أنا "علاء أحمد جودة".. أبي هو "أحمد جودة" أحد أكـــبر المهندسين في مجال التصميم المعماري، أو هكذا أعلم عنـــه.. لم نتحدث في عمري إلا في المناسبات الضرورية للغاية، برغم أني ابنه الوحيد إلا أنه هو وأمي ..، تركا تربيتي لجـــدي اللـــواء الأسبق في الجيش، تعلمت من جدي عدة نظريات..

نظريات عن ماذا ؟... عن الحب، والعواطف، والمـــشاعر، والحياة، مالها الحياة؟.. الحياة هي معادلة رياضية بسيطة،..١+١ =٢.. ولمـــسايرة الحيـــاة لابـــد أن تجيـــد اللوغاريتمـــات.. العواطف؟... العواطف هي وقود مركبة الأغبياء والضعفاء في طريق الحياة...والمشاعر والأحاسيس هي مـــلاذ الـــضعفاء... والعطف والطيبة هي مبررات، نستعملها لتبرير الفشل!

*****

لا تسمح بالأخطاء أبدًا.. هذا هو شعار "علاء".. لا داعي لأن تسمع الأعذار فقط،حينما يخطئ أحـــدهم، عجـــل لـــه بالعقاب.. يقولون دائمًا إن عينيَّ تعكسان قسوة وكـــبرًا.. لا أراهم، ولكني ممتن لعينيّ، لذلك الانعكاس.. يجـــب أَن تـــضع دائمًا لحياتك خطة معادلة.. ضع خطة "ألف" و"بـــاء" وضـــع احتمالات، ولا تسمح لأي شيء بأن يفسد المعادلة..القلب

والمشاعر، لا مكان لهما في معادلتك ثم إنني لا أدرك أساسًا معنى الكلمة..حب الأم! هو مجرد امتنان لأبي وأمي، لأنهما أتيا بي للحياة، وبالتأكيد فقد سببت لهما من البهجة ما يسدد ذلك الدين!

ربما لم أكن بتلك المشاعر، قبـــل أن...ولكـــن لا داعـــي لتذكرك الآن...تنظر إلى صورته وتنحيها جانبًا..وتفكر مـــرة أخرى في العمل، مناقصة طوكيو تلك مهمة للغاية، طلبت من السكرتيرة إحضار الملف لأدرس العرض مرة أخرى .. منذ أن افتتحت شركتك الصغيرة وأنت في تقدم، يجب أن تـــصبح في المقدمة دائمًا.. لا تسمح لأحد أن يسبقك.. هذا هو شعاري، طلبت من "حمدي" الساعي الخـــاص بي أن يـــستعجل "ريم" السكرتيرة ..وأنا أشبك أصابعي، وأطلب كوب القهوة، كنت أشعر أن الأداء اليوم أبطأ مما ينبغي، ربما يحتاج الأمر إلى بعض الحزم.

****

_آنسه "ريم"...حضرتك لقيتي الملف؟

_لسَّه يا عم" حمدي".. هتجنن مش لاقياه..كان هنا يـــوم الخميس.. إنت عارف لما بابا تعب وماما كلمـــتني نزلـــت جري!!

بتوتر تكلم "حمدي":

ـعارف يا بنتي عارف... بس دوَّري كـويس الأسـتاذ "علاء" عايزة دلوقتي مش عايزينه يتنرفز علينا على الصبح كده.

التفتت إليه "ريم "بغضب:

ـهو بيتعامل بالعصبية دي ليه أصلاً.. إحنا موظفين وهـو صاحب شركة مش عبيد عنده.

أشار لها "حمدي" العجوز لتصمت قائلاً بصوت منخفض:

ـوطي صوتك يا بنتي..إنتي عايزاه يسمعك؟

أجابته بعطف وهى تربت كتفيه:

ـإنت بتخاف منه للدرجة دي يا عم "حمدي" ؟!!

تنحنح "حمدي" العجوز وابتسم:

ـمش خوف يا بنتي عشان أكل العيش ربنا يهديه.. إنـتي جديدة في الشركة ..مشوفتيش الأستاذ "علاء" زمـان ..مـن ساعة موضوع "آسر" الله يرحمه وهو رجع عصبي أكتـر مـن الأول كمان.

ـأنا مش فاهمة مين "آسر" ده بقى؟

أفزعها صوت الهاتف..وقطع حديثها فالتقطت الـــسماعة الهاتف قائلة:

_أيوه يا أستاذ "علاء".. دقيقة وهبقى عند حضرتك..

أغلقت السماعة وتوجهت نحو باب المكتب وطرقته قبل أن تدخل منه..

*****

رفعت عيوني عن الأوراق عندما دخلت "ريم" عرفتها مـــن رائحة عطرها.

_ملف طوكيو اترجم يا آنسة "ريم"؟

صمتت "ريم" لدقيقة كاملة فكرت فيها بمـــا ســـتجيبه ثم وجدت أن الصدق منجٍ دائمًا..

_الحقيقة أنا لسَّه بدور عليه و...

قاطعها "علاء" بلهجة أفزعتها:

_بتعملي إيه.. بتدوري عليه؟.. ليه حضرتك مش عارفـــة مكانه؟؟

اضطربت "ريم "وهى تجيب:

ـــلا.. عارفة طبعا.. بس لما جيـــت النـــهارده مكـــنش في مكانه.. أنا لسه بدور عليه.

وقف "علاء" كمارد يوشك من غضبه على ابتلاع المحـــيط قائلاً في غضب:

ـــإيه التهريج ده إنتي المسئولة هنا يا آنسة.. يعنى إيه ملـــف يختفي.. القطة كلته ؟!

ابتلعت توترها مع ريقها في صعوبة وهى تنطق:

ـــأستاذ "علاء".. أنا..

قاطعها في غضب:

ـــإنتي إيه ..أنا مش عايز أعذار.. دلوقتي حالا تدوري على الملف وإنتي متحولة على التحقيق.. بسبب الإهمال..

أجابته "ريم" بصوت متقطع :

ـــوالله يا أستاذ علاء مش إهمال ده.

قاطعها للمرة الثالثة: لو كنتي بتـــهتمي بـــشغلك نـــصف اهتمامك بشكلك مكنش الملف ضاع..

حاولت أن تنطق..إلا أنه أخرسها بآخر طلقة في مـــسدس كلماته:

ـــآنسة "ريم" اتفضلي المقابلة انتهت.

كان وجهها يموج باللون الأحمر بمزيج من الخجل والغضب قبل أن تنصرف من المكتب.. هتفت في أعماقهـــا دراكـــولا صحيح!

*****

بعدما خرجت "ريم" جلست في مقعدي قليلاً أنظـــر مـــن النافذة..أتناول حبوب القلق بكوب من الماء لكي أهدأ قليلا.. منذ فجر حياتي وأنا في صراع مع الجميع..مع جدي لكي أثبت له أنني أصبحت جديرًا بالثقة..ومع مشاعري التي تباغتني قليلاً وتصر على أن تخرج من حبسي الأبدي لها ..منـــذ زمـــن لم يدخل شيء جديد إلى حياتي ..أتذكر وأنا أنظر مـــن النافـــذة "آسر" الصغير وأذكر التغيير الذي أحدثه في قلـــبي ..ثم أذكـــر عودتي إلى حالتي تلك بعد موته..أنظر إلى صورته الـــتي تـــزين مكتبي وأتذكر.. أتذكر كل شيء ..

*****

_علاء ..صباح الخير يا باشا

_أهلا يا "اشرف" صباح الخير..

_هتعمل إيه النهارده؟

_مفيش شغل كالمعتاد..إنت عارف..

_طيب ما تيجي معايا ..

_فين؟..وبعدين مفيش وقت أصلاً يـــا "أشـــرف" إنـــت عارف.

_نص ساعة بس يا علاء..العربية عطلانة ..ومش هأخرك ده وعد.

_ماشي..هعدي عليك..

في الطريق إلى منزله، فكرت في أن أتراجع وأعتذر ولكـــن مشكلة "أشرف" أنه كان دائمًا معك ألطـــف ممـــا ينبغـــي لا مشكلة في بعض الدقائق... لا تتجاوز النـــصف ســـاعة يـــا "أشرف" بأي حال من الأحوال.

_إزيك يا باشا..

_الحمد لله يا "أشرف"..على فين

_ هقولك وإنت ماشى بس متسألش شوية يا أخي ..

_ماشى..

*****

أنا "آسر" لا أعلم "آسر" ماذا ؟ ولا أعرف ما هو تحديـــدًا المكان الذي أنا فيه الآن ؟ إلا أنني أرى دائمًا وجه ذات الرداء الأبيض البشوش ذاهبة وآتية واختفت تلك التي كنت أراها من

قبل وأنا أحرك "دُبِّي" الوحيد ذهابًا وإيابًا.. وهـــى تتحـــدث بجانبي بصوت أفتقده كثيرًا.. انطق كلمتين ولا أدرك غيرهما.

كنت ألمح التردد بداخل عيون البشر، عندما ينظـــرون إلى يدي، وهي تقوم بحركتي المكررة، ولا أعلم لماذا يحبطون، وهم يتحدثون إلىّ ويتحدثون، وأنا لا أفقه حروفهم، فماذا عليَّ أن أفعل حينما يتحدثون؟ أنا لا أفهمهم، ولا أفهم لماذا أتوا بي إلى هنا؟ وأخذوني من غرفتي القديمة حينما أتـــوا بي؟ في البدايـــة، أخذت في الضرب على رأسي كثيرًا، لم يأبهوا بي، وبالتدريج، اعتدت غرفتي الجديدة، وضعوني مع باقي الأطفـــال، ولكـــني أخذت في الصراخ، لم يفهموا أني لا أحتمل سمـــاع الـــصوت العالي أساسًا.. وأتى أحدهم بنظرات طبية أخذ في التحديق إليّ طـــويلاً وأخـــذ في التحـــدث ثم نقلـــني إلى غـــرفتي المليئـــة بالنجوم.. كنت أقرأ النظرات، فأفهمها، ولا أســـتطيع أن أرد، فقط أفهم ما يقال، عندما ينظرون كلهم، أفهمهـــم إلا "دبي" الكبير لا أفهم عينيه لا أعرف فيما تختلفان!

كنت ألعب بـــ"دبي" وأحركه وأضـــحك.. وأضـــحك.. وأضحك..بصوت مرتفع.

ثم أفتقد الجميلة، التي كانت تدندن بجواري، واعتـــدت أن أراها كثيرًا، فبكيت، وبكيت، وبكيت.. لا أعلم أخذت أردد اسمها

ماما، ماما.. تجحظ عيناي وأحرك أصابعي فلا تأتي.

ـ إيه ده؟؟جمعية خيرية!!..إنت بتهرج صح؟

ـلا خالص ..هتطلع معايا ولا هتستناني هنا؟

ـهنطلع فين؟ ..إنت بتصدق الناس دي أصلاً..وإيه اللـــي يطلعك مكان زى ده؟!

بابتسامة يجيب..

ـمكان زى إيه ..هي حمارة؟!

ـلا بس دول معظمهم حرامية أصلاً..ولو مش حرامية إيه اللي يخليك تساعد حد

يقاطعك مرة أخرى بإشارة إلى السماء وهو يصعد ســـلالم الجمعية ..

أف..عليَّ أن أنتظر حتى يعود.. ربع ساعة مضت..وذلـــك العبقري بالداخل.. ربما الحركة أبطأ مما ينبغي، ربما يجب فقـــط أن أصعد لأرى ما يفعله، من باب الفضول ليس أكثر ..بمنتهى القوة تدخل عن طريق الباب تتصل به فيخبرك أنه في غـــرف الأطفال ..يا للغباء ..أصعد لأراه..المشكلة في ذلك المكان عدم النظام ...كل هذه غرف.. والأسوأ أنه لا يوجد أحد لأستفسر منه عن الطريق..ولكنني وجدت نفسي بالرغم مني أدخل لتلك الغرفة التي لا يوجد فيها إلا طفل وحيد..لا ينقصني إلا هذا..

طفل متخلف..ولكنني لاحظت أنـــه لم يتلفـــت لي منـــذ أن دخلت.. ألم يرني أم أنني الذي خارج نطاق رؤيتـــه، لا يهـــم ولكن حركته المتكررة استفزتني للغايـــة .. تتأملـــه بـــصمت ..لتجد يدًا تربت على كتفك..

ـجميل "آسر"

ـ هو اسمه "آسر"..تكلمه باهتمام حقيقي تستغربه

ـأيوه.

ـهو أعمى..ولا إيه أنا مش فاهم

ـ لا "آسر" متوحد يا أستاذ..حضرتك اسمك إيه..

ـعلاء..متوحد يعنى إيه .. وفين أهله طيب..صحيح ومين حضرتك؟

ـأنا محمود ..إخصائي التخاطب في الجمعية..وآسر يتيم.. متوحد يعني إيه؟ همم ..شايف الدبدوب اللي هو ماسكه ده؟

ـأيوه.. قدام أوى بس

يقاطعك...

ـمقصدش شكله..هو مش شايف إن فيه فرق بينك وبينه غير إنك بالنسبة له حد مرعب هـــو فاقـــد التواصـــل ....أو

بأسلوب علمي بقى..التوحد ده إعاقة.. بتقلل من استيعاب المخ للمعلومات و بتأثر في كيفية معالجتها فبالتالي ..بيحصل مشاكل في كيفية الاتصال بين المتوحد ومن حوله..إنت ممكن تبص له من بعيد زى ما بنعمل كده.. بس هو مش بيسمح لأي حد يقرب منه ..ولو كلمته مش هيسمعك ولا هيهتم .. ببساطة هو بيعيش في العالم ده لوحده مش بيهتم بوجود الآخرين من عدمه .. مش بيفرح لما بيشوف أي حد ولا بيحزن لابتعاد أي شخص ..لو خاولت تركز مع عيونه هتلاقي إنه مش بيبص لك وأنت بتكلمه ..ومش بيحب وجود الآخرين من حوله ولا بيشاركهم اهتماماتهم... وميحبش إنهم يشاركوه في أي شيء... بيحب يلعب لوحده .. ومش بيحب يختلط بالأطفال الآخرين..ده التوحد باختصار مخل ..

ـ يعنى لو قربت منة هيرفض ..

بابتسامة ودود يرد:

ـ ممكن تجرب..

أجلس أمام الطفل على البلاط ببذلتي التي أخشي عليها من كرسي مترب..أجلس وأحاول أن ألمسه ..إلا أنه يبتعد في ذعر ولا ينظر إليّ من الأساس!!!

أنظر للطبيـــب..لأجـــد "أشـــرف" بجـــواره ينظـــر إليّ بدهشة..فأشكر الطبيب وأسأل "أشرف" عن معلوماتـــه عـــن ذلك المكان..

بعدما أوصلت "أشرف" جلست قليلاً في العربة أفكـــر..في كلمات الطبيب...متوحد..متوحد بغير إرادته أخذت أنظر إلى وجهي في المرآة وأنا أردد الكلمة أخـــذت أتـــذكر مواقـــف عديدة.. أبي المريض.. "ريم" السكرتيرة.. عم "حمدي" العجوز الذي أرهقه بالطلبات.. الكثير ممن حوله يعيشون في هذا العالم بمفردهم لكم أصابتك الجملة في مقتل أصابت كبد الحقيقـــة.. كم يشبهك!!..قشعريرة باردة تسرى في عمودك الفقـــري.. وإحساس غريب بالضياع يملأ كيانك..ولكنك نفضت الأمـــر برمته من رأسك وأنت تهزها بعنف..فليتولاهم من خلقهم من الأساس..تعود إلى العمل.

*****

أستطيع أن أحصى أوراق تلك الشجرة بنظـــرة متأملـــه، وأستطيع حساب كم يأخذ جناح الذبابة من وقت ليرتفع بهـــا إلى السماء؟ ألمح أشياءً قد لا تراها، ولكني لا أستطيع أن أنطق جملة تفهمها وأنا خائف وللغاية لا أعرف أين يذهب الجميـــع ؟ومن أين يأتون؟.. ولكني أحفـــظ الأوقـــات.. الطعـــامٍ في السابعة.. والخروج للفناء في التاسعة، يوم الاثنين نأكل سمكًـــا

ويوم الأربعاء لحمًا، أتسلى بعد الفراشات في الحديقة، وأعـــد بقع الألوان على ظهرها ..أشـــعر بالوحـــدة وبـــالخوف.. لا أعرف، لماذا يدي ترتاح عندما أضع أصبعي الوســـطى علـــى السبابة؟ وأبدلهم طوال اليوم أفعل ذلك وأضـــع يـــدي علـــى وجهي، لأهرب من شيء أخافه كثيرًا بحركة قد تبـــدو لـــك متذبذبة، ولكنها فقط تحدث بدون تحكم مني، حتى وأنا أرسم، أضع خطين وخطًا وحيدًا، والوحيد خائف وأنا أشعر بالخوف الشديد وبالبرد أذهب بعيدًا عن الجميع، أنزوي في الـــركن في أي مكان جانبي لا تضعني في المواجهة أبدًا فأنا لا أتحملها.

*****

عاد "علاء" إلى بيته متعبا ذلك اليوم..كانت مربحـــة تلـــك الصفقة الأخيرة مرهقة ومربحة..هاتفك كان يرن منذ الـــصباح بنغمة مكررة..نغمة المنزل القديم..تتحـــدث صـــوت أمـــك المنتحب ينبئك عن الأمر.

ـــأبوك مات يا "علاء"..

ـــالبقاء لله يا ماما..إمتى؟

تجيبك بأنه دفن وبأنها كانت تتصل بك لكي تأتى لتأخـــذ عزاءه ..بلهجة اعتادت على النبرة الميكانيكية تحـــدثها بأنـــك ستكون معها في الصباح..غدًا يـــوم ضـــائع ..أف تعـــود إلى العمل.

*****

كانت غريبة نظرات ذلك الشخص الذي أخذ ينظـــر إليّ كثيرًا، أستطيع أن أرى بجانب فمه تجعيـــده، تـــشي بـــالحزن والوحدة لا بكبر السن، ولكنه ذهب، بدون أن يظل معـــك لم تدرك أنت أساسًا ما حدث، كل ما شعرت به أنه في لحظـــة صار قريبًا منك.. أيمكنك أن تناديه؟ كيف لا تستطيع الكلام ؟ ولا تعرف كيف تنطق؟ ولو عرفت فلن يسمعك ..حينها مـــن أعماق روحك ناديت بصمت.

*****

مضى أسبوع منذ أن رحل أبوك، أنت مستغرق في عملك تمامًا، تلك الفترة حققتم الكثير من الأرقام القياسية..ولكنـــك الآن أصبحت تـــتفهم الـــصدمة تمامًـــا، معـــنى أن يرحـــل أحدهم..نظرة أمك الحزينة أنبأتك..لأول مـــرة في حياتـــك شعرت بأن حياتك خاوية..كل ما بها هـــو عمـــل..عمـــل ومعارك..عن أي حياة تتحدث بل قل قانون غابتـــك الـــذي يحكمك ..كنت تحتاج إلى صديق.."أشرف" لم يأت في بالك غـــيره ..موبايلـــه مغلـــق بالتأكيـــد ســـيكون في تلـــك الجمعية..توجهت إليها..تصعد السلالم وبرغم أنه أنبأك بمكان جلوسه المرة الفائتة إلا أنك ذهبت إلى غرفته في غرفة "آسر".. لم يلتفت إليك ..من الأساس كان يرسم حاولت إن تـــساعده فلم يلتفت ولكنه لم يصرخ أيضًا ..تحدثت معه عن أبيك وهو لم يلتفت فقط حينما توقفت عن الحديث .. التفـــت ينظـــر

بالقرب منك بنفس النظرة الخاوية وبرغم كل المراجع التي تصر على أن نظرته خاوية، ولا يمكن أن تعبر عن أي شيء إلا أنك برغمهم جميعًا، رأيت خوفًـــا، وشـــعورًا بالوحـــدة أشـــعرك بالصقيع.

*****

لا تعلم، لماذا شعرت به قبل أن يأتي حينما دخل لم تعـــرف ماذا يفترض أن تفعل؟ ولكنك صمت، وهو يقترب، لم تصرخ كعادتك، لم تخبط بيديك على مؤخرة رأسك وتصرخ فقـــط، صمت وهو يأتي، ويساعدك في الرسم وفي الضحك، لم يحدث من قبل أنك تحركت أو حاولت أن تتحرك نحو أي شخص أو أسعفتك التعبيرات، جلست فقط كما اعتدت وهو ينظر إليك وأنت تنظر إلى العدم وتراه بدون أن تعلم كيف تخبره بأنـــك تراه .

*****

_دكتور" محمود"...

_أيوه يا "سمية".

_شايف يا دكتور .. شايف "آسر" .

_تبتسم آه شايفة ماله.

_هو كده خف، مش حضرتك قلت إنه مـــش بيـــشوف حد.. ولا بيسمعنا، أمال ليه حاسة إنه يعرف أستاذ "علاء" ده

أنا كل يوم كنت بخده جلسات التخاطب والعلاج وعمره مـــا شافني أصلاً أو بص لي.

_أنا قلت فيه حالات من التوحد كده.. التوحد درجات يا سمية.. فاكرة أول مرة جه "آسر" بعد ما أمه توفـــت وجابـــه جارهم، كلكم استغربتم لأنه مش بيكرر غير كلمـــتين بـــس منهم ماما ومش بيعرف ينطق.. ولأن صوته كان صراخ دايمًا.. وهزهزته وحركته الغريبة ..التوحد فيه حالات استجابتها عالية وفيه حالات تانية صعب التعامل معها.

ـ وإنت مش ممكن تعرف يا دكتور مش حضرتك عملت له اختبارات وعلمتنا إزاي نبدأ في التدريب معاه!!.

_الاختبارات بتنور لينا شمعة بس فيه سرداب مظلم للغاية، لم تحدثها عن الأطفال المتوحدين الاسبرقز... الـــذين يملكـــون قدرات خارقة... مثل حفظ دليل الهاتف بأرقامـــه جميعًـــا أو حفظ الأحرف جميعًا.. لم تحدثها عن طفل متوحد تمكن أبـــوه أن يجعله يحفظ القرآن وآياته فيكفى أن تذكر له اســـم الآيـــة ليخرج لك في لحظات الصفحة من المصحف.. عـــبر عنـــهم للغاية فيلم "رجل المطر"..الأمريكي.. يمكن أن يصبح أناس مثل "آسر" نابغين برغم توحدهم ويمكن بقليل مـــن الاهتمـــام أن يصبحوا مخترعين أو علماء.

وأنت تخطو خارج الغرفة سألتك مرة أخرى:

ـ دكتور طيب هو كده خف..صح.

تبتسم وتشير بيديك إلى السماء.. هو فقط من يعلم بمـــاذا يشعر الآن

*****

منذ أن عرفت "آسر" وحياتك تغيرت للنقـــيض، أصـــبح موعد "آسر" مقدسًا تذهب إليـــه كـــل يـــوم تجلـــس بـــين يديه..اقترابك من روحه جعلك آخر غير ذلك العنيد..جعلك ترى الضعف في البشر وتحترمه .. عالجك "آسر" مـــن حالـــة توحدك وأنت لم تستطع حتى أن تزرع ابتسامة على شـــفتيه.. أصبحت من المهتمين بالعمل الخيري.. تـــشاركهم كـــثيرًا في توزيع الطعام في مناطق لم تكن تعرف أنها موجودة أساسًـــا.. قرأت أكثر عن مرضه... تابعت حالته..درست التخاطـــب في أكثر من مكان وتعلمت الكثير من التمـــارين الـــتي حاولـــت تطبيقها معه.. جعلك هذا أكثر تواصلاً مع البـــشر..جعلـــك "آسر" ترى قدرة الله فيك وترى نعمة الله عليـــك وحكمتـــه ورحمته التي أحاطت بك منذ مولدك وعلمك أن تشكر الله، في عملك تغيرت شخصيتك أصبحت أكثر لطفًا في المعاملة تحاول دائمًا أن تكون عادلاً لم تتخل عن تفوقك ولكنك أصـــبحت

تساعد الجميع والابتسامة أصبحت لا تفارق وجهـــك، كـــل شيء أصبح منظمًا وفى موعده.. الصلاة في مواقيتها، تمـــارين "آسر" في مواعيدها المرور على أمك اليومي، وجهك تغير أنار، وأصبحت بشوش الوجه وحلو الحديث حتى..

حتى حدث ما حدث!!

*****

أذكر صعودي ذلك اليوم إلى غرفته الخاوية، كانت نظـــرة الجميع تنبئني بأن في الأمر حدثًا ولكنى لم أفهم ..أذكر دخولي إلى غرفة "محمود" لأبحث عن "آسر" ..أذكر نظرته المطرقـــة.. وكلمة البقاء لله.. لم أصدق ..طوال الطريق إلى المنزل لم أفهم.. لم أبك ولكن الجبل بداخلي تصدع فجأة.. لم أجد مكان سوى هنا في مكتبي ..والآن بين صورته ونافذتي ..أتذكر تركي لكل شيء ..للجمعية التي لم أستطع أن أعبر درجاتها مرة أخـــرى.. تركي للبلد كلها لـــشهرين لأعـــود أســـوأ ممـــا كنـــت في البداية..تغيير أرقام هواتفي جميعًا..لا أعلم لم أشعر الآن بندائه بداخلي ..حقيقة لا أعلم..ولا أعلم أيضًا لماذا وضعت الشريحة القديمة في الهاتف وأوقفت استقبال المكالمات الآن، رنين الهاتف هو ما أفاقني قليلاً..

ـــالو..

ـ إزيك يا "علاء" ..

ـ أهلا إزيك يا دكتور "محمود"

ـ الحمد لله..كنت عايز رأي حضرتك في حاجة

ـ أكيد..

ـ فيه كذا حالة توحد في المركز جم جداد ..وأنا بحـاول أكون فريق من المهتمين

قاطعته بحدة..

ـ لا أظن يا دكتور وقتي محدود زى ما حضرتك عارف

ـ أكيد ..بس أنا مش بكلمك عشان تبقى واحـد مـن أعضاء الفريق

ـ أمال..تمويل مادي..أنا مستعد

يقاطعك بدوره تلك المرة

ـ لا أنا بكلمك عشان عايزك إنت اللـي تقـود الفريـق ده..خبرتك في مجال التوحد كانت بتبهرني أنا شخصيًا..إنـت كنت متعمق أوى في دراسة الحالة ..وحرام يبقى عندك العلـم ده ومتفيدش الناس بيه.

ـ أيوه بس

يقاطعك مرة أخرى:

ـ بص يا "علاء".."آسر" في الجنة مش لعلم ..بس لأنه ما ارتكبش ذنوب..دخل الدنيا وخرج زى الملاك..وأكيد دلوقتي هو في مكان أحسن وشايفك منه ..مش عايز منك رد..فكـــر وبس.

ـ موعدكش بحاجة..بس هفكر ..سلام.

ـ في أمان الله.

وأنت تغلق معه ..طلبت من "حمدي" أن يبلغ الـــسكرتارية بعدم الإزعـــاج لأي ســـبب.. ونظـــرت مـــن مكتبـــك إلى البعيد..لتجد صورة "آسر" القديمة تحتل تفكيرك.. وشـــعرت ببلل يغزو خديك لتكتشف أن الدموع تنبت من قلبك لتبقـــى بطرحها على عيونك على ذلك الملاك أخذت في البكاء، منـــذ سنوات وخدك الجاف لم تباركه موجات المشاعر والخـــوف.. تتذكر مواقف معه ..يوم حاولت أن تربت كتفيـــه وابتعـــاده المنكر للمستك.. ذعره..ضحكته التي أتت بعد الكـــثير مـــن التدريب .. تتدفق في روحك بالرغم منك موجات العطـــف والحنين فتكسرك ..تتذكر نظرة عينيه الخـــاويتين .. أصـــوات الأنين والحزن التي كانت تنبعث منه كطـــير وقـــع في شـــباك الصيادين بغير ذنب..تلقى على صورتك معه نظرة أخـــرى ..

دموعك الآن تنساب بلا أي مقاومة تروى عطـــش القلـــب، تنهمر الدموع الآن منك وتنهمر تتخبطك ذكريات ولحظـــات كثيرة ..كل ما كنت تتمناه هو ضمة أخيرة لبدنـــه الـــصغير.. ليغفو بين ذراعيك وتغفو معه...تنظر مرة أخرى إلى الطريق.. وتتذكر كلمات الطبيب: فريق توحد ..تدمدم..من يعلم ..

صورة خلف مكتبك لكلمة "الله" بالذهب علـــى خلفيـــة سوداء أجابت بدون أن تشعر..بأن الله وحده من يعلم

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

[يونس : ٣٥]

طبعا أنا ملحد..

يا اللي بتـــبـــحـــث عـــــن إلـــه تعـــبـــــــده
بحث الغريق عن أي شيء ينجـــــده
الله جميـــل وعليـــم ورحمـــن رحيـــم
احمل صفاتـــه.. وإنت راح توجده
(عمنا صلاح جاهين)

أشعل "خالد" سيجارته وفتح جهاز اللاب توب الخـــاص به.. اليوم سوف يفعلها.. تردد قليلاً شعر بقـــشعريرة بـــاردة تزحف على عموده الفقري فارتجف، للحظة قرر أن يتراجع ثم تذكر إرادته التي جعلته يقوم بكل ذالك منذ البدايـــة ســـحب نفسًا آخر وسجل دخولا إلى إيميله ووضع العبارة التي ســـوف تظهر حقيقة انتمائه الفكري التي أقلقت نومه لأيام، تردد مرتين قبل أن يكتب العبارة ثم حسم التردد وضغط

Enter

ليدخل العبارة ويدخل هو إلى عالمه الذي صنعه بإراداته...

"الله لا وجود له.. الله أوجـــده الـــضعفاء لكـــي يـــبرروا ضعفهم.. والجبابرة لكي يجدوا من يتجبرون باسمه"

***

أنا "خالد محمد فرج الله" والدي هو الشيخ "فرج الله".. من رموز الحركة الإسلامية في مصر ليس كذلك فحسب بـــل إن جدي الذي يتكلم أبي عليه بما يشبه الرهبة حتى بعد أن رحـــل جنوبًا ـ كما كان يصف قدماء المصريين رحيل موتاهم - مـــا زال يتحدث عليه ويؤمن على من يتحدث عن كراماته بعبارة - إحنا هنروح فين فيه - كما ترى أنا نموذج لشاب مـــسلم محظوظ لو سار الأمر كما رتبه لي أبي، لكنت أحـــد الـــدعاة الذين تملأ صورتهم القنوات الفضائية ولكنه لم يحدث لحـــسن حظي، تمر بي لحظات تؤرقني فيها بحار الذكريات وتصر علـــى الثورة على حبسي لها فأغمض عيني لحظتها وأحررهـــا قلـــيلاً فتجرفني موجتها فأغوص ببحر الذكريات فأتذكر وأتـــذكر، أتذكر أيامًا سوداء قضيتها في دراستي الأزهرية التي سمحت لي بأن أرى الفكر الإسلامي على أصوله، أتـــذكر رفـــض أبي أن التحق بكلية الفنون الجميلة التي فضل عليها كليـــة الـــشريعة والقانون لكي أظل تحت رعايته أتذكر كيف أحرق أوراقـــي واتهمني بأن الشيطان يبارك طريقي.. حسنًا إذن فليبارك ذلـــك الشيطان إن وجد حياتي الآن، والدي هو صورة قاتمة للإسلام البغيض الذي أجد صورته دائمًا في خيالي كلما تحدثت مع أي مسلم ملتزم.. أبي هو المثال الواضح لأي مسلم كما يجـــب أن يكون فهو ملتزم طويل اللحية قصير الجلباب.. كلامه دائمًـــا

وأبدًا بأحاديث الرسول الذي يصر دائما على ذكر كلمة عليه أفضل الصلاة والسلام وهو يدمـــدم بخـــشوع... أرأيـــت في حياتك مثالاً أوضح من ذلك على المـــسلم الملتـــزم بتعـــاليم كتابه... هههههههههههههههههههههههه إنها حقـــا عائلـــة محترمة أب شيخ وأم منقبة وجد أقل ما يقال عنة أنه كان يملك بركات.. عن أي خرافات يتحدث ذلك العجوز المأفون.. أنا أكرهك يا أبتي أكرهك وأكره اسمك الملتـــصق بي كالتـــصاق البعوضة بالجلد الرطب في يوم حار... أكره ذلـــك الـــشرف المزيف الذي يمنحني اسمك إياه..ملعون أنت وملعـــون ذلـــك الاسم وملعون اليوم الذي ألقيت فيه بنطفتك القذرة لأتكـــون وأنا جنين لأب مثلك .

***

اليوم هو اليوم الثالث في تاريخ ميلادي وتـــاريخ تحـــرري أيضا.. لأول مرة أشعر أنني حر بيدي تلك كسرت ذلك القيد الذي كان يقيدني إلى معتقدات لم أكن أؤمن بها يومًا.. لمـــاذا انتظرت طوال هذه السنين، الحياة لا تأتى إلا مرة واحدة إنـــني الآن خارج عن كل الأديان متخلٍ عن كل المعتقدات الباليه.. إله هذا العالم هو العلم وهذا ما أنتمي إليه المنطق العلمي الذي يشكك في أي شيء وكل شيء.. أي فرضية تحكم الوجـــود الآن يمكن أن تصبح غدًا خرافة ببعض البحث وبعض المنطـــق

فما بالك بكلمات لم تتغير منذ أربعة عشر قرن، وما يهمني أنا في خلاف حول زوجات الرسول إذا كنت لا أومن برسالته أساسًا... سر تخلفنا طوال هذه الفترة هو تمسكنا البالي بمعتقدات لا يمكن لها إلا أن تحكم قبائل تعمل برعي الأغنام وتحارب فيما بينها طوال اليوم على سبيل التسلية..لأننا تمسكنا بتعاليم الأزهر العتيقة واستمعنا لسلاطين تحكم بشرع الله انظر ماذا أصبحنا، لأنهم في الغرب تخلوا عن هذا الفكر المتخلف منذ زمن فانظر أين أصبحوا.. لا تتحدث مثل أولئك المغفلين بأن الفرق بين الإسلام والمسلمين كالفرق بين الذهب والنحاس، وبأن روح الدين تحمل الكثير والكثير .. أليس هؤلاء الشيوخ الذين يباركون حكم طاغية ويدعون له من على منابر المساجد هم أعلم الناس بالدين وأكثرهم حفظًا للنصوص، أليست أفعالهم الخسيسة خير دليل عليهم وعن روح الدين المزعومة!!

أليست كلماتهم التي تردد ليل نهار عن الإسلام وعدالته هي التي تتكلم مرة أخرى وتذكرنا بوجوب الانصياع لحكام ورجال يغتصبون يوميًا آدميتنا.. أليسوا هؤلاء الذين يتحدثون عن الإسلام وعدله هم الذين يربتون على بطونهم الكبيرة في بلد لا يمتلك فيها الكثير ما يسمح لهم بأن يقفوا على أقدامهم حتى.. من فينا الأقرب لروح الدين إن لم يكن هؤلاء؟؟

أنا الآن أسعد حالاً وأكثر اطمئنانا من حالتي حينما كنت أغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني لم أومن به قط... يقولون

إن أبي حينما سمع الخبر أعلن أن ابنه قد دفن منذ زمن بعيـــد، الجميع الآن يعاملني كالمجنون، بـــل يتعـــاملون معـــي أحيانًـــا كمجذوب يحمل رائحة غير محببة للأنفس.. لا يهم أنا أحدثك أنت فقط أيتها الأوراق فأنت من سيشهد لذلك العصر أنـــي كنت على حق.. ثم ولما أهتم بهم ألم يكذب أجداد هؤلاء كل الأنبياء الذين يتبعون رسالتهم الآن إن وجد هؤلاء الرسل مـــن الأساس.. ألم يكذبوا حملة الوحي.. ألم يـــروا "جبريـــل" ولم يعرفوه وكل تلك الخرافات الأخرى.. بمن أهتم أنا.. كل مـــا يضحكني هو "محمد" غريب هذا الفتى بحق.. يصر على أنـــني سآخذ وقتي.. هههه.. ساذج يظن أني أحد من الخراف الـــتي ضلت الطريق إلى مراعي الرب الممتلئة بالنعم.. اليوم ســـوف يجيء لنتحدث قليلاً.. من أجل الصداقة سأجعل الحديث يبتعد كل البعد عن الدين.. لن أحدثه في معتقداتي ولـــن أحثـــه أن يؤمن بما هو لن يؤمن بها وأنا لن أهتم إن آمـــن بفكـــري أو رفض.. علقت حكمة كبيرة على باب مكتبي تقول "من كانت له عيون للبصر فليبصر.. ومن كانت له آذان للسمع فليسمع" تسألني يا صديقي المتلهف على إثبات قوة دينك بمنتهى الحماس لماذا أنا ملحد.. قل لي أنت ولما لا أكون ملحدًا.. لماذا أنكـــر وجود الله؟ دائما ما يسألوني هذا السؤال دائما يـــا صـــديقي العزيز وأنا بدوري أسألهم لماذا انتم تؤمنون به؟ أي إله يرضـــى

بأن يتقاتل أبنائه ..ومن يرضى بأن ألقي جزائي في الآخرة أنت تريد ان أحرم نفسي من كأس النبيـــذ الـــذي يـــثير نـــشوتي وجنوني.. وأن أترك أعمالي خمس مرات في اليوم من أجـــل أن أسجد لآلة لم أره وماذا أعطاني.. ماذا.. عينان وشفتان و..و.. ومن قال لكَ بأنه موجودا ها أثبت لي...لا تحـــدثني بالكتـــب السماوية فانا لا أؤمن بها بل حدثني بالمنطق أنا لا أجد أي دليل مادي يؤكد وجود الله، فهل لديك أنت أي دليل على وجوده؟ وأي إله فيهم هو الحق ..ها؟ لا تنظر إلى كمجنون أجبني فضلا وبمنطق أي اله من المفترض أن أعبده أهو أله المسيحية المثلث أم أله اليهودية الذي فضل اليهود على باقي البشر أم إله الإســـلام الذي انتشر بالسيف والذي رأيت كيف يطبقـــه أبي، يطبقـــه بضرب أمي لأنه من حقه.. يطبقه بالزواج من اثنين أخريـــات لأن الله أباح له ذلك.. الله أباح له أن يضربني وأنـــا الطفـــل الصغير لكي ألحق بصلاة الفجر التي لا أرى مـــن ورائهـــا أي طائل سوى إضاعة نومي من فضلك حدثني بمنطقية....

***

يعتقد "محمد" دائمـــا في الله ..يعتقـــد في القـــوة المطلقـــة لوجوده.. ربما كانت مشكلته مع من حوله هو التطبيق السيئ للإسلام.. أكثر ما يثير حفيظته هو منظر شيخ سني بذقن طويلة ووجه متجهم وزبيبة صلاه كبيرة..وهو في الأصل سارق.. أو

منقبة تطل عيونها لتغريك على معصية الله بالنظر وإطالتـــه إلى جمال رسم عينها وتقاسيم جسدها التي أحكمت العباءة مـــن حوله..حينما رفض الجميع حتى و أن يتحدثوا مع "خالد" بعد ما فعله..تقدم هو..ربما لأنه يعرف أن الأمر لا علاقة له بالدين من الأساس ربما لأن بحكم العشرة كان قـــد ألفـــه...يـــذكر "محمد" حديثة مع صديقة قبل ذهابه إليه:

ـــ صدقني إن ما يرفض ليس الله ولا وجودة ولا الإســـلام ومشكلته ليست معهم على الإطلاق.

ـــأنت بتضييع وقتك اللي زى "خالد" ده يضرب بالجزمـــة زى أي برص تجيبه من على الحيطة بالشبشب... عـــارف ده حكمة أيه القتل يا "محمد" القتل!.

ـــالفقهاء اختلفوا في الموضوع ده.. وبعدين حتى يا سيدي المتشددين للقتل حكموا بضرورة الاستتابة..

ـــأنت ليه مش فاهم الحكم حكم.. سمعنا واطعنا.. يقتـــل يعني يقتل..

ـــهمممممممممم.... سمعنا وأطعنا مش يتبقى في

تطبيق الأحكام يتبقى في العبـــادات في إن صـــلاه الفجـــر ركعتين مثلا مش في الحدود.. هديلك مثال عارف أنت "عمر

ابن الخطاب" أوقف حد السرقة في عام الرمادة عشان النـــاس كانت بتسرق عشان تأكل .

ـ لا طبعا مستحيل يكون "عمر ابن الخطاب" عمل كـــده ولو ده صح يبقى "عمر ابن الخطاب" فاهم ده "عمر"كلامـــه مقدس يعنى .

ـ لا ده حصل.. ومفيش قدسية في الإسلام كل يأخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا المقام(الرســول صــلى الله عليــة وسلم).. في مشكلة في فهم تطبيق الحدود عندك.. طيب أنت عارف أشد حكم في الإسلام من وجه نظري أيه؟..

ـأية يا فالح، السرقة؟..

ـلا الزنا... لان تطبيقه يا إما الموت لو أنت متزوج، يا إما أنك تجلد مائة جلدة بدون رحمه أمام الناس. عارف حكم الزنا أتطبق كام مرة في الإسلام في وجود الرسول؟.

ـكتير طبعا.

ـمرة واحدة يا "حازم" مرة واحدة بس.

***

أختلف كثيرا مع شيوخي.. وأساتذتي الذين أجلهم.. مـــا بين روح الدين والتمسك بأشياء لا أفهمها.. ما هو جدوى أن

يتحدثوا عن بركات بول الرسول صلى الله علية وسلم.. إن كان رسول الله غير موجود بيننا.. ما هي فائدة أن يصعد عالم كبير ليتحدث عن بركات بول الرسول وآخر يتحدث عن رضاع الكبير بينما نتحدث نحن حول البشر الذين صعدوا إلى القمر..ما هي فائدة أن تظل تذكر للناس قيم وقوة الدين الإسلامي .. وأنت لا تطبقها.. أفلا نعقل؟.. أتسائل دائما عن سر تأخر الدعوة والدعاة في مصر بلد الأزهر الشريف..أفكر قليلا ربما لأن علماء الدين خانوا العهود مع الله.. كيف تصدق شيخا.. يحدثك فتدمع عينيك، ثم تراه راكبا عربته بعد ذلك وصوته الذي كان رحيما انقلب فأصبح صوت غول.. كيف ينهاك أحدهم عن السرقة ثم تجد ذمته المالية محل جدال.. لماذا نتحدث دائما عن حرية المرأة وفى داخلنا يكمن ذلك الشرقي العتيد الذي يؤمن بأنها عبده ..حتى وإن حررها الإسلام" وحررتها الثورات.. لماذا ولماذا.. ألف تساؤل يجيْ على بالى فينقلب عقلي إلى ملعبا للصراع لا أرتاح إلا حينما اخفض جبيني لله هيبة ووقار.. حينما اصدح خلف الإمام.. الله اكبر.. فأحس بتضاءولي.. فاسجد فتدمع عيني. فاعلم بأن الحق لا يأتي إلا من عندك وسعت رحمتك كل شيء.. أقرأ آيات من كتابه فأؤمن أنه من عندك..سبحانك جل علاك.. أذكر أيام حيرة كثيرة سبقت يقيني.. أذكر أحاديثي مع الشيخ "على" في

المسجد.. أسأله فيرد.. سؤال وجواب.. لما قال الله كذا وكذا.. لأن كذا وكذا وكذا.. بعيدا عن شيوخ الفضائيات وبعيدا عن الصراع الدائر حول اى الأديان أفضل عرفت الله عرفته بحق.. فهمت أحاكمه ونظمه.. عرفت الله من ورقة التوت.. كما عرفة الإمام "الشافعي".. ورق التوت طعمه واحد، فإذا أكله الدود أخرج الحرير، وإذا أكله النحل أخرج العسل، وإذا أكله الظبي خرج المسك ذي الرائحة الطيبة. فمن الذي وحد الأصل وعدد المخارج ؟؟ سبحانه وتعالي خالق الكون.. افهمني الشيخ "علي" الكثير.. اعترف بذلك بين أسئلتي وأجوبته تعلمت وفهمت سر حيرة الكثيرين الحق إننا ظلمنا ذلك الدين سواء بجهل منا أو بقصد تآمرنا عليه وأكثر من تآمر، هم أولئك المدافعون عنة على طول الخط.. حينما اقتربت من "خالد" وجماعته لم أر في عيونهم غير الحيرة.. هم فقط ضلوا الطريق.. اذكر حينما جلسنا لأول مرة وهو يقدمني إلى زملائه ..بمنتهى السخرية بالرغم منة نطقها..

_الشيخ "محمد عبد الفتاح المستجاب" نجل الشيخ الأشهر.. خدوا بالكوا ده إسلامي متعصب..ودماغه جزمة!!

ألمح نظرات الإستهانة بي.. لم أرتجف..يتحدثون إلي وكأني قادم من المريخ.. لا يهم .. حينما تحدثوا عن شعر "صلاح جاهين" و"فؤاد حداد".. ولعبوا لعبة غريبة بأن يقول كل منهم

رباعية.. رفعت يدي في دوري.. دهش أكبرهم وسمح لي بأن أشارك..

الكون ده كيف موجود من غير حدود

و فيه عقارب ليه و تعابين ودود

عالم مجرب فات و قال سلامات

ده ياما فيه سؤالات من غير ردود

عجبي !!!

لم يتطرق الحديث في الدين.. كان الكلام سياسة.. بعض التعليقات على ماتش الأهلي الأخير.. لم يتحدث أحدهم في أي شيء يخص الدين.. وأنا لم أدخل يدي في عش الدبابير.. ولن أجادل سكارى أغلب ما يعلمه أعلمهم عن الإسلام هو اسم نبيه محمد علية أفضل الصلاة والسلام.. لمحتهم وهم يقدمون لي الخمر.. اصمت وابتسم..

ـ ميشربش.. بس أنا مش شيخ يا "خالد".. وأنت عارف ده.. وياريتني كنت.. الشيوخ مرتبة عالية أوى وأنا لسه اقل منها..

يرد "خالد" عليهم باقتضاب :

ـ ماشي..أنا كمان مش بشرب هايشرب معايـــا كـــولا طوال جلستي معهم لم استثر من تعليقاتهم طالما هي بعيدة عـــن سب الدين أو الرسول فلا بأس من أن أجالـــسهم واســـتمع. الذكي هو من يحدد مكان المنازلة إذا أراد القتـــال.. وهـــؤلاء سكارى ومن يجادل السكران كمن يغترف من ماء البحر فـــلا هو يروى عطشه ولا طعم الملح سوف يسعده.

***

بعد الجلسة يصطحبني للخارج ..

أسأله:

ـمالك

ـمفيش

ـطيب

ـ محمد.. لو جاي تنصحني وفر على نفسك الكـــلام ده.. بص أنا قرفت وتعبت أوي لحد ما لقيت طريقي.. ومعتقـــدش إن أنت أو أي حد هايقدر يرجعني.. فاهم.. أي حد.. بـــص فلسفة وكتر كلام مش بفهمه مش عايز.. عايزني أؤمن ماشي وربي ربنا "الله" خليني أبصله.. أساله ليه بيخلينا ناكل في بعض كده ليه سايب في جيوش قويه زي أمريكا بتقتل في أطفال ليه مديهم القوة دي؟؟

ابتسم في وجهه وقبل أن انطق.. يقاطعني قبلا:

ـ وليه خلقني أصلا و ممشيني في طريق هو إللـــي عـــارف نهايته.. إيـــه العائـــد.. إيـــه الفايـــده يعـــنى ؟! بـــص يـــا "محمد"هابسطللك الموضوع.. لو أنت كنت مقتنع بوجود ربنا يبقى أكيد هو موجود وإن كنت غير مقتنع بوجوده إذن فهـــو غير موجود لأنه لو كان موجود لأقنعك بوجوده.. وبعـــدين ماشي يا سيدي موجود.. معاك أنا اهو في ربنا... ليه دينـــك هو الأفضل.. ودينك يا عزيزي ملئ بالخرافات !!

انظر إلية بهدوء:.

ـ زى ايه؟.

ـ الإسراء والمعراج مثلا .. ليه فضل طالع نازل كده عشان يخفف الصلوات.. مش من الأول كان ربكم خففها؟

ـ إيه كمان؟

ـ والمرأة.. صحيح كلمني عن المرأة مش المرأة دي أمـــرت بأن تسجد للرجل لو أنها لغير الله ساجده.. ليه إحكام الوراثـــة كده؟.. ليه للذكر فينا كحظ اثنتين فين المنطق.. ليه من حقـــه يضربها ..عارف أنا لسه فاكر أبويا وهو يعنف أمي ويـــضربها ويؤدبها.. ده دينك مش كده.. وليه لزاما على المرأة إن تغطى

هي شعرها ومش الرجل مش بعض الرجال فتنة للنساء..ليه هما كمان متأمروش أنهم يلبسوا النقاب.. و..

قاطعته:

_أجاوبك

يقاطعني مرة أخرى:

_لا سيبنى أكمل.. مش عايز منك كلمات منمقة بتقول إن ربنا رحيم وغفور والحكمة في كذا وكذا ..والإسلام أفـــضل لأنه هايدخلنا الجنة.. أنا أصلا مش مقتنع أن في جنة

_ حاضر..خلص كلام وهاجوبك إن شاء الله

_نعم؟.. أنت هترد؟.. مش فاهم.. توقعت إن أنت بالذات يا هاتسيبنى وتمشى يا هاتتنرفز من كلامي

_لا.. لا خالص ده بيضحكني جدا.

_إزاي يعنى؟..

_في آية في القران تنهى عن الاقتراب من الصلاة والواحـــد سكران.. فاكرها أكيد

_ أيوه..

_أنت بتعمل زي إللى بياخد نص الآية ويقول القران نهـــى عن الصلاة.. بتقصقص الكلام وبس علشان كـــده كلامـــك بيتقلب عليك.. عارف كل الى قولته وهتقوله ما يحسبش على الإسلام اساسا.. وأنا مش محتاج أقنعك بوجود ربنا فكر أنت شوية.. كل التنظيم الكوني ده جاى منين.. من الطبيعة مثلا.. وأنت طبعا نتاج التطور الطبيعي من القرد أو حتى من الإنسان القديم ماشى. .يبقى المفروض إنك في السنوات القادمـــة يـــا هاتبقى سوبر شامبانزى.. يا أما هاتتحول لبنى آدم بيطير مـــثلا وبينور بليل.. ولو فكرت هتلاقي ربنا موجود حولك بآياتـــه وبآثـــارة... هـــديك مثـــال قـــديم اوي..أنـــت بتـــشوف الكهرباء..؟؟.لا طبعا .. بس بتنور اللمبة اللي فوق دي.. مش ممكن تلمس زلزال لكن اثاره هتبان لعيونك فتعرف أن مـــش كل شيء ممكن تلمسه.. الرياح .. الرعد الجاذبية نفسها كـــل ده مش ممكن تلمسه ومش كل الأشياء الى مش بنشوفها مش موجودة.. "خالد" أعقلها بعقلك أنت.. وأنا شوية وهارجع لو هتفضل هنا..

_ إيه دة انت هاتمشى

_آه طبعا.. أذان الفجر أنت مش سامعه؟..

_مش هاترد عليا..

ـ هارد لو حبيت او استنيت.. فكر شوية على ما أصلى... صحيح وأنت بتفكر في كلمة عن سيدنا على ابن عم الرسول صلى الله عليه.وسلم بيقول فيها .."من استعان بغيره مل ومـــن استعان بماله قل ومن استعان بعقلة ضل ومن استعان بالله فـــلا مل ولا قل ولا ضل"

ـ يعنى ..

ـ ميعنيش.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

***

فكرت قليلا بعدما رحل..ماذا يأخذ ضدي ..أنا لا أؤمـــن بوجود الله حقا.. إن وجد فأين هو من الظلم الواقع علينـــا.. أين هو من ما حدث مع أمي هل رأى أبى وهو يحرق لـــساني لأني أخرت الصلاة.. أأمره بذلك.. جمرة في اللسان علمتني أن أكره وعلمت العقل إن يشتعل.. ولما يتحدث محمد بكل تلك الطمأنينه من أين تأتيه.. ملعونة تلك الزيارة.. ولكن الكـــون ذلك النظام الدقيق.. تلك الأشياء التي تحدث لا يمكـــن إلا أن تبرهن على وجود الله لا أن تنفيه حسنا أنا لست ملحدا أنا لا ديني مثل رمزي.. أبى قال لي بأنة يجب أن نؤمن بما كتـــب في القران كله بكل الرسل وبكل الملائكة ليس برسولهم فحسب.. وكيف يمكنني أن أؤمن بان رجلا أحيـــا المـــوتى.. وأشـــفى

الأبرص.. ورجلا آخر تحدث جذع الشجرة من تحته.. وآخـــر رمى عصاه فإذا بها حية تسعى.ثم هب أنني أصبحت مـــسيحيا كيف لي أن أؤمن بالمسيحية بتناقضاتها الكثيرة آو الإسلام الذي لا منطق في كلماته... الله هو العدل في الإســـلام والمحبـــة في المسيحية فكيف يرضى العادل بكل هذا الظلم.. ولكنني أجـــد كلام محمد قريبا إلى قلبي... المنطق هو الأســـاس "العقـــل".. ولكن لما تلح على جملته الآن.. من استعان بعقله ضل ..وأنا لا أرى أي بصيص للضوء لا لن أرضخ لخرافات القرون الأولى.. وخرافة الرسالات بأكملها.. هم كبشر عباقرة لأنهم استطاعوا وأن يجمعوا كل تلك الحشود... ثم أنه لا شـــيء حتمـــي ولا شيء مصدق بنسبة مئة بالمائة أنا أفكر وانشر المحبة على الأرض أاصير رسولا من أجل هذا..!! أنا سأساعد شخـــصا مريـــضا ومعاقا إن استطعت ولكن الله لن يفعل ذلك.. ثم هـــب أن الله موجود.. إذن فهو خير خالص.. فكيف يخلق هو بذات نفسه الشيطان وهو شر خالص.. كيف يكون خيرا ويخلق شر.. ولما ما الغرض.. وإن كان الله موجودا حقا فلماذا خلق كل الفسق و الفجور.. لما خلق البغضاء؟ والقبح؟ وكل الأشياء الفظيعـــة، الله خلق كل الشرور.. كيف يمكن أن يكون هذا الإله خيّرًا إذا كان هو الذي خلق كل الشرور في جميع الأزمان؟.. الكراهية والذل والقهر يمكنك أن تراها في كل مكان.. أليس كـــذلك.

فكيف يكون الله خير.. ثم لماذا خلــق لي خمـــس حـــواس لا أستطيع أن اتعرف عليه بأي منهم يقاطعـــك صـــوت الآذان فترتجف بالرغم منك "الله اكبر الله اكبرا.. أشهد أن لا الـــه إلا الله" لا لا يمكن أن تكون موجود لا أنت ولا كل رســـلك.. فيقاطعك اختراق الآذان لعقلك مرة أخرى "اشهد أن محمـــد رسول الله.. اشهد أن محمد رسول الله.. حي على الـــصلاة.. حي على الفلاح" لا يمكنك أن تكون موجود إن كنت موجود فلما لا أراك بعيني.. أو أسمعك بـــأذني، أو أي... فيقاطعـــك الآذان للمرة الأخيرة "الله اكبر الله اكبر.. لا اله إلا الله".. أيـــن هي الإجابة، لا شيء حسنا يا "محمد" أن أتيت فسوف أحرقك بالمنطق، سيكون سؤالي باختصار أين الله.. وبالمنطق والمنطـــق وحدة.. أنا لست متعصب لأي شيء لأنني ببساطة لا أؤمـــن أصلا بأي شيء... ولكن معايير الناس عندي بمـــا يفكـــرون حسنا سوف انتظر "محمد".. ها هـــو آت.. ســـوف أعطيـــه الفرصة في الحديث..

_"خالد" ..

ابتسم كنمر يوشك على التهم فريسته ..

_ "محمد".. ممكن نتمشى لحد البيت عايزك ترد على شوية كلام وطريق البيت وحشني...

فيرد بابتسامة من لا يعلم انه سيقع في الفخ..

ـــ ماشى..

أحيط بنعومة الخيوط من حول قدميه ليدخل الى الفخ بقدميه..

ـــ أنت ساكت ليه.. ممكن ترد لو عايز

فيبتسم بلامبالاة.

ـــ مش لازم

فابتسم بابتسامة الظافر الآن بثقة أقولها..

ـــأنت شايف أنى صح يعنى.

فيلتفت ليواجهني بوجه مبتسم بالكامل...

ـــ لا.. بس واضح انك مش عايز تقتنـــع يعـــنى بتجـــادل وبتجادل وبس.. بس هاجوبك بعلمـــي البـــسيط كمـــسلم عادى.. بص يا خالد الإسراء والمعراج حدثت في عام الحزن في عام توفى فيه عم الرسول صلى الله علية وســـلم وزوجتـــه.. وصعد ليرى الله عز وجل.. فأقر علية الصلوات خمسين.. فلما نزل قابل موسى علية السلام فقال له يا محمد لقد خبرت الناس وسيشق عليهم إن يتبعوك فاصعد إلى ربك فاجعلـــه يقللـــها.. وهكذا.. إلي أن صارت خمـــسة في الفـــروض وخمـــسين في

العمل.. أما لماذا حدث كل هذا فلكي تتعلم من سيد الخلـــق علية أفضل الصلاة والسلام.. أن الأمور تأتي تدريجيا.. ولكـــي تفهم حكمة خمسة في العمل و خمسين في الأجر.. والمـــرأة لم تنل ولن تنال احتراما كما نالته في ظل الإسلام أنت عارف لو الإسلام طبق بحذافيره مين هايخسر.. الـــذكور.. لا تنظـــر إلى بدهشة.. أنت أتكلمت كتير عن الحقوق ومتوقفتش عن الفرق بين الرجال والذكور.. والمرأة التي قال عنها الرسول لو إمرتهـــا بان تسجد لأحد غير الله والسجود ها هنا ليس معناه التعظـــيم ولا التوقير إن علمت بل هو سجود احترام وتقـــدير.. لقيمـــة الرجال في المجتمع الإسلامى.. أتعرف إن الإسلام ينهى عن إن تمس ذمة المرأة المالية من قبل زوجها في حين يلزمه بان يصرف عليها وعلى أخواته البنات وعلى أهله.. لذلك في الميراث شرع إنه للذكر مثل حظ الأنثيين.. والضرب ليس مـــن الإســـلام أساسا..ولا تحاسب دين بالكامل على تـــصرفات شـــخص.. عارف الرسول أمر أن الضرب يبقى بالسلوك المقصود مـــش الأذى يا خالد والموضوع دة ليه شروط اقسي من أن تنفـــذ.. وأضحكتني جملة أن يلبس الرجال النقاب.. لا بأس ولكن مـــا رأيك في رجل حلق شعره!! ما رأيك في أخر يربى لحيته..يـــا عزيزي جمال المرأة هو سرها..لذلك تحدث أنت بمنطقية لـــيس أكثر..

كمن تلقه خبطه وهو سيد الموقف أحاول بجميع أفكـــاري وانطق..

_هممممم..عارف ليه أنا اختارت أنى ميقاش ليا إنتمـــاء ديني معين؟ أنا لقيت الدين زى أي اختراع سلاح ذو حدين، خلينا نتكلم بمنطقية اكتر ،أنا حاولت أتعامل واخذ من كـــل الديانات.. وبرضه فشلت لأن العلم أصلا مـــاأثبتش وجـــود ربنا..أنا مش قادر أحس بربنا ولا اشوفه ولا اشمه ولا المـــنسه يبقى ايه بقى..وبعدين لو موجود لية ربكم خلق الشر والحقد.. خلق الكراهية والذل ها..

يلتفت من حولة... ليهرب من منطقي وينطق ..

_ الدنيا ضلمة أوي ..

بدهشة أرد ..

_آه جدا بس إيه علاقة ده بموضوعنا..

فيرد بابتسامة لم أفهمها..

_ هو فى شيء اسمه ضلمه يا "خالد"

فأجيبه على الفور ..

_ آه طبعا..

فيبتسم لأسقط فى شراك كلماته تلك المرة

ـ لا مفيش.. الضلمة دي مش شيء محسوس.. الـــضلمة دي هي حالة غياب الضوء.. ممكن ننور نور عالي او منخفض شوية..ضوء ببريق لكن مفيش ضوء مستمر، يبقى الاصـــل ان مفيش نور..يبقى فى شيء ، واسمه الضلمة.. مش كـــده ؟ ده المعنى الى بنستعمله في التعريف.. بس لا الضلمة مش كدة.. لو كان كده يبقى أنت ممكن تخلى الضلمة مضلمة اكتر أو تمـــلا برطمان ظلام مظلم .. الموضوع نفسه فى البرودة والحرارة..في برد يا "خالد"؟..

ـ آه في طبعا..

ـ لا برضه أنت غلطان. أنت ممكن يبقى عندك حرارة قوية أوى حرارة تصهرك ممكن تقيس الحرارة بس مفـــيش حاجـــة اسمها البرودة.. البرودة دي كلمة بتستخدم علـــشان تقـــيس غياب الحرارة ..أنت مش ممكن تقيس البرودة.. لو ينفـــع لـــو نقدر نتحكم كنا قدرنا نوصل لأبرد من ٤٥٨ تحت الصفر..

ـ مش فاهم

ـ هافهمك نفس الموضوع بالنسبة للكرة والذل ..الكـــره هو غياب الحب.. والذل غياب العدل..ببساطه انت بتقول إي كلام ..عقلك بيستخدم إفتراض المنطقية الثنائية..

ـ يعنى إيه؟

... بعض في حياة وفى ممات، في إله خيّر وإله ســـيئ، أنـــت شايف مفهوم الله شيء محدود و محسوس، شيء يمكنك قياسه، خالد العلم الى انت بترجعلة كل الأشياء ده بنفسه لحد النهاردة مايقدرش يشرحلك فكرة إنه بيستعمل الكهرباء والمغناطيـــسية وهي لم تُـــر أبدا، رغم ده فالعلماء يفهمونها تمامًـــا، عـــارف رؤية الموت كحالة معاكسة للحياة هو جهل بحقيقة أن المـــوت لا يمكن أن يتواجد كشيء محسوس، الموت ليس العكس مـــن الحياة، بل هو غيابها فحسب ..بص هناك كدة..شايف البنت اللي بتركب العربية دي.. تفتكر هايعملوا ايه؟

_هايسمعلها جدول الضرب.. هههههه

_ فى حاجة اسمها الفسق يا "خالد".. الفجر.. أو الظلم

_ آه في طبعاً

_برضه غلط الفسق و الفجر هما غياب المبادئ الأخلاقيـــة فحسب ومفيش شيء إسمه الظُـــلّم؟، الظلّم هو غياب العدل، هل هناك شيء أسمه الشرّ يا خالد؟

_آه...

_لا الشر هو غياب الخير.. بس فكر من غير فلسفة..اه في شرور في العالم يا خالد ..وربنا الى خلقها. .افترض معايـــا إن

ربنا موجود لدقيقة.. يبقى اكيد ربنا بينجز عملاً من خـــلال توكيله للشرور، ما هو العمل الذي أنجزه الله؟ القرآن يخبرنا يا "خالد" .. أنه يختبرنا ليرى إذا ما كان كل فرد منـــا وبكامـــل حريته الشخصية سوف يختار الخير أم الشر.. انت مقتنع أننـــا نتاج تطور يا "خالد" بجد؟...

صفعاتك منتقاة يا "محمد" بحق قوية للغاية...أرد

_ آه طبعا..؟؟

_ أنت شوفت التطور دة فيديو..شوفته بعينيك مـــثلا في طفل صغير كان قرد وبقى بني ادم..

_ أنت بتتريق

_ لا بتكلم بجد شوفته؟..

_ لا

_ يبقى مش موجود بفرضيتك..وبعدين عدم قدرتي علـــى رؤية الشيء لا ينفى وجوده يا "خالد" يعنى بس عدم قدرتى أو عدم امتلاكى للوسائل..ربنا بتوصله بروحـــك يـــا "خالـــد" بقلبك..مش بعقلك.. مش هتقدر ..هاقنعك.. أنا مش شايف مخك أنا شايف قدامى شعر منعكش.. يبقى دة معناه ايه؟

ابتسم:

_معناة ايه؟

إن معندكش عقل يا "خالد" لأني مش قـــادر أشـــوفه ولا ألمسه ولا أشمه ولا أتذوقه.. مش صح

_ إحنا وصلنا للبيت

_ آه

– إيه رأيك ..– مفيش رأى. بص أنا ملحد بـــالطبع أنـــا ملحد عايزنا نبقى أصحاب يبقى تحترم ده مش عايز براحتـــك بس بلاش نتكلم في الدين تاني يا محمد لو سمحت..

_ اتفقنا يا صديق.. يلا في أمان الله..

بعدما أوصلته.. ظل صدى كلماته يطن في اذني وعقلـــي لم أعرف لماذا استمرت كلمة واحدة تسيطر على تفكيري.. مـــن استعان بغيره مل ومن استعان بماله قل ومن استعان بعقله ضل ومن استعان بالله فلا مل ولا قل ولا ضل.... وظللت أسمـــع صدى ضل إلى إلا ما لا نهائية وأنا أصر بأنني..

بالطبع أنا ملحد ..

البدين

"كلما كان الإنسان أكثر انعزالا، كان أكثر تعصبا وأضيق ذهنا"

"علي الوردي"

ـ يعنى إيه مش بتحب..ليه يعنى!!

ـ لأن إحنا بشر..

ـ وإنت سوبرمان؟

ـ لا أنا حد عادى.. بس فاهم قواعد اللعبة ...

ـ يا سلام .. إيه الضوت ده .. إنت مشغل أغاني..

ـ أيوه ده منير.

ـ كده إنت عبقري أهى أغنية بقى

ـ بيني وبينك ســـور ورا ســـور ...وأنـــا لا مـــارد ولا عصفور... في إيدي ناي و الناي مكسور.. وصبحت أنـــا في العشق مثل...

ـ يا سلام .. هي الأغنية دى مالها معلقة ليه كده معاك..؟

ـ يمكن لأني حاسسها أوى الأيام دى..وإيه كل كمية يـــا سلام دى

ـ هههههههههههه

*****

ـ كيف بدأت المعرفة؟.. سؤال غبي.. يستلزم إجابة ذكيـــة بالطبع.. حسنا.. أنت تعرف أنني مـــدون بـــالطبع.. وهـــى كمدونة.. صدفة غريبة أدخلتني إلى عالمها لأقرأ مدونتها.... أنا لم أنتقل من المترل من يوم الحادثة أنسيت؟... ويومًـــا فيومًـــا وتعليق وراء الآخر.. هكذا سألتني أن أســـاعدها في تفـــسير حلمها القديم حتى فوجئت بإضافة على إيميلي في عـــصر يـــوم لازلت أحفظ تاريخه وهكذا بدأ الحديث..

ـ السلام عليكم إزيك يا "همسة"

ـ إيه ده..إنت عرفت منين

ـ بالمنطق اسم الإيميل + الأغنية + الفيلم اللي بتحبيـــه = إزيك يا "همسة"؟

ـ تمام إنت عامل إيه؟

ـ تمام...

لم تستغرق المحادثة الكثير، ولكنها فعلت بروحي الكثير... غيرت بداخلي مشاعر كنت أحسبها صدأت منذ سنوات.. للأسف فعلت ذلك.. كنت أومن من البداية أن الحياة لعبة من قال أنها شيء أكثر؟.. هي فقط لعبة بقواعد محددة للغاية... لها قوانينها وخطوطها الحمراء التي لا يجب أن تتعداها مهما حدث... ولها أيضا انفراداتها الخاصة والفريدة التي لا يمكن أن تتكرر.. ولكنها لعبة بلا حكام. حكامها غالبًا نحن، لذلك فهم غالبًا أقسي الحكام.. لذلك تعجبت للغاية حينما خالفت قواعد اللعبة وأنا سعيد وماض... ترى هل للقدر دخل؟.. لا يهم المهم أنني وبإرادتي الحرة لعبت ولأول مرة خارج النطاق.. أذكر أنها أخبرتني ذات يوم بأنها منذ اليوم الأول أعجبت بكلماتي.. وكتابتي... صدقني لم أصدقها ..يمكنك دائما أن تعلم من مر من فوق حرفك ومن يدعى أنه مر.. هي ادعت الإعجاب وأنا مع معرفتي بذلك سعدت بكلماتها.. ثم في الأساس أنا لا أكتب لأحد، أنا أكتب كي أنفث عن كرب ليس أكثر، أكتب، كي أتطهر من الذنوب.. ترى هل تغتفر الذنوب بتلك الطريقة؟ من يعلم!!... الله وحده هو من يعلم.. يوم وآخر، مكالمة وأخرى، وكما تلتقي الأرواح وكما يحدث... شعرت بأنني سوف أحبها وهي أيضا شعرت بذلك.. لذلك أصررت_ أنا_ على أن ألجأ إلى خط الدفاع

الأخير.. كثيرا ما سألتني عن سر سخريتي المرة من كل شـــيء حتى من نفسي.. هل جربت الكورتيزون مـــن قبـــل؟.. لا لم تجربه... أجربت أن تصبح بدينًا؟.. لا.. فاتك الكثير أن تصبح ممتلئًا مثل البالون.. صدقني فاتك الكثير.. ثقافة المجتمع تجـــبرك على أن تظل على الرف.. صعب أن تفقـــد كـــل شـــيء في لحظات وأنا فقدت كل شيء.. العيون التي كانت تنظـــر إليّ بانبهار وبغيرة أصبحت تنظر بشفقة..أو بسخرية.. أجربت أن تطوف بالمحال فلا تجد ما يناسبك لأن وزنك قد تعدى مرحلة الـــ xxxl .

عليك أن تكره ضيق الملابس، لأنها ستكـــشف للجميـــع ترهلات جسدك المصاب.. حينها عليك تخشى... أن تخـــشى البشر وتكره أشعة الشمس.. حينها عليك أن تتقوقع بـــداخل وعائك الصدفي.. لا تصدق كلمات من نوعية "جمال الروح" أو لسنا بتلك التفاهة.. صدق أو لا تـــصدق الجميـــع بتلـــك التفاهة.. أنا نفسي كنت كذلك، فلم ألومك أنـــت..حينمـــا بدأت الأمور تخرج عن السيطرة.. فاتحتها في الأمر

_ أنا عايز أشوفك ..

_ ده بجد

_ أيوه..

ـ إنت مش قلت لي إنك مش بتقابل حد من ساعة الحادثة بتاعتك..

ـ بس عايز أشوفك إنتي...لو موافقة.

ـ يا ريت..

*****

منذ شهور لم تخرج مع أناس جدد، منذ إصابتك، منـــذ أن تحول تمثال المرمر إلى شخص بدين، منذ كـــسرت... كنـــت ولازلت تشعر بأنك أعلى من الآخرين، ربما لقنك الله ذلـــك الدرس، لتعلم كم أنت صغير في مملكة الرب، تعلمت الدرس، وواظبت على الصلاة، وقراءة القرآن، ومساعدة البـــشر، كنت تشعر وأنت تساعدهم أنك لم تخسر الكثير.. بل على العكـــس خسرت، ما كان يبعدك عن الطريق السوي لـــيس أكثـــر.. بنيانك القوى ساعدك على أن تحمل كل ذلك الوزن الزائـــد بفعل العقاقير... وجهك كان يضئ للغاية مع كل خطـــوة في طريق الخير.. كل ما خسرته كان جسدًا ممتلئًا بالذنوب حـــتى الثمالة.. ربما قطع عليك غرورك الاســـتمتاع بطيبـــة البـــشر والقرب منهم .. ماذا في العالم يساوي دعوة أم لك بأن يرزقك الله؟.. ماذا يساوى رسم السعادة على وجه بـــشرى؟.. مـــاذا يعادل لحظة انحناء وسجود لعظمة الله؟.. لا شيء!!... صدقني

لا شيء .. كان عليك فقط أن تقطع بعض الخطوط القديمة.. عليك أن تعيد أبجدياتك بأن الرجل ليس بمظهره.. عليـــك أن تعلم أنه في عيون الكثيرين بمظهره، صحيح أنه ليس كذلك مع بعض البشر إلا أنه مع الكثيرين منهم كذلك.. ولكنـــك الآن تسمو، تسمو على جسدك، حتى على كل شيء، تستعيد ثقتك التي أفقدتك إياها العقاقير.. ما سر مرور شريط حياتك أمـــام عيونك وموعدكم بقي عليه دقائق؟!.. وأنت تتأنق لملاقاهـــا.. وتتساءل عن التأثير في عيونها، تتذكر أن أشياء كهذه لم تكـــن تقلقك قبل الآن.. لا داعي للغوص في بحار ذكرياتك في هـــذه اللحظة.

عرفتها منذ رأيتها...

عرفت تلك الخطوات التي تتمايل فتملأ الكـــون عبقًـــا.. الدلال الذي يحتويه ثوب فينتشر على الأرض فتـــشعرك بـــأن زهرة تفتحت فملأت الكون رائحتها، رائحة أنثى بحق.. كنت تعلم أنها خرجت من تجربة حب فاشلة إلى قصة ارتباط أكثـــر فشلاً... لا يهم.. وقفت بجانبها، ولم تعرفك حينما قدمت لها تذكرة المترو، تساءلت عينيها باستنكار.. وكسر القلب مـــع نظرات عينيها المندهشتين..أركبتها عربة السيدات وأنت تشعر بالخجل، بل قل بالضيق الشديد لأول مرة تحس بأنك تتضاءل

في حضرة أحدهم..وفي المحطات الأربع إلى وسط البلد شعرت بأن الطريق يستغرق أيامًا لبضع دقائق، عنـــدما أرشـــدتك إلى المقهى كنت كالسائح في عالم غريب.. تعجب بكـــل شـــيء كالأطفال.. تستنشق عبق الزهرة بكل فرح، كل ذلك الجـــو جديد عليك الخليط الغريب.

رائحة البشر كلها أشياء، لم تعتدها من قبل.. لم تر من قبل كل تلك الوجوه، وكل تلك الأرواح.. عندما جلستم علـــى مقاعد المقهى..ودخنت سيجارتها.. وطلبت كوبًا من الشاي، وطلبت هي قهوتها وتحدثتم... كنت تشعر أنك تتسلل داخـــل روحها، ولكن في عيونها لمحت الرفض لذلك الـــشكل القبـــيح المتمثل أمامها.. وأنت كنت كالطفـــل الـــصغير حاولـــت.. وحاولت.. سعدت للغاية بحديثك معها عندما انصرفت تاركًا إياها مع صديقتها... في المقهى وأنت تدفع الحـــساب قـــرأت إحساسها وحيرتها بداخل عينيها..كنت تشعر بأن تلك هـــي آخر مرة سوف تراها...ولكنك لم تكن محقًا.

*****

_ اتصلت بيك وكنت نايم.

_ عارف.

_كنت صاحي ولا إيه؟

ـ لا كنت نايم بس شفت رقمك على الـ id

ـ اممممممممممم ،كنت بكتب حاجة بس مش هنزلها على البلوج عايزة آخد رأيك.. هبعتها هنا أوك.

ـ أوك.

ـ مالك.

ـ مفيش..تيجي نلعبها صح؟

ـ نعم..

ـ إنتي مكنتيش تعرفيني قبل النهارده..بصي يا جميلة..أنا مش الرجل اللي إنتي حلمتي بيه إنتي تخيلتي شخص غير موجود لا ٣ أشخاص... صدقيني بقى أنا غير كل دول..أنا أعجبت بيكي لأنك إنتي... متخيلتش أي حاجة.. ببساطة ومن غير أي مقدمات فتحت كل ذكرياتي وكل اللي اعتبرته خطًا أحمر بلا أي حذر... وقررت أشياءً لم يكن لي أن أقررها وأنا أعرف كل قواعد اللعبة..أنا مش بلومك بس كفاية كده المسرحية بقى دمها رخم.. ممكن نبقى أصحاب لو حبيتي بس صدقيني إنتي دلوقتي مع شخص غريب للغاية شخص غير الذي عرفتهم كلهم.. فلنعتبر ما مضى حلمًا.. قولي فترة انتهت.. هو خيال

ومضى.. وأنا كنت أعلم منذ البداية أنه سينتهي كما بـــدأ إلى السراب...

صمتت مفكرة في كلماته ربما أعجبت بوقاحته إن شـــئت الدقة وليس صراحته!!

*****

"يا قلة الذل أنا ناوي مشرب ولو في القلة عسل"

*****

يومًا فيوم كان قرار السفر يتبلور في أعماقك.. مـــا ذنـــب تلك الأرض أن تراك وأنت في قمة اليأس وهى الـــتي رأتـــك وأنت على قمة جبال القوة.. مكالمتها استمرت.. لا تعلم هل تتلذذ بتعذيبك؟ أم أنها بالفعل بريئة.. لا تعلـــم فقـــط هـــي استمرت في محاولتها للعب بمشاعرك بنفس الشكل المـــستفز..

ـــإنت مخاصمني؟

ـــ لا أبدًا

ـــ يلاش حوارات النهارده بلييييييييييز ..أنا تعبانـــه أوي ..هتستحملني وتخدني على قد عقلي النهارده؟

ـــ أوك

ـــ وده يعنى إيه؟...آه ولا لا؟

ـ لو عايز أقول لا فصدقيني مش هتكسف

كنت تشعر بأنك كسرتها في أعماقك وهو ما آلمك كثيرًا.. حلمت بأنك شخص يمكن أن يصبح حبيبـــها.. المـــشكلة أن حبيبها الأول قد استغل كل طاقة حبها فأصبح بعده كل حب لها مملاً ومكررًا... وأصبحت تشتم في كل الأنفاس نفـــسه.. وفى كل الوجوه صورته.. وهو لم يعتـــد أن يـــرفض بـــذلك الشكل، اعتاد أن تنبهر به عين الرائي لا أن تنظر إليه بدهـــشة وبشفقة.. مع كسرها في أعماقه كسر هـــو أيـــضا.. تكمـــل المكالمة عقلك ينتوى أمرًا.

ـ أنا مسافر صحيح...

ـ رايح فين؟

ـ أوربا كلها تقريبًا

ـ طيب تروح وتيجي بالسلامة

ـ آمين

ـ بفكر أكمل شغل هناك هم خمس سنين وآخد الجنـــسية سنتين إقامة وثلاث سنين شغل بس كده

ـ ربنا يوفقك وده ييقى شيء كويس

ـ جداااا

ـ أي جنسية أوربية بتفرق بشكل بشع... عمرك ســافرتي بره مصر

ـلا.

ـ لو معايا جنسية أوربية ممكن أخش أي دولة في العالم لمــدة ثلاث أيام من غير تأشيرة.

ـوده شيء كويس ؟

ـجدًا

ـوليا سفير يسأل عليا.

ـطبعًا أنا مش فاهمة أي حاجة وبطيخة في حوار السفير ده

ـ*********************************ـ

*****

الغربة شعور مر تعلمت هذا منذ أن لمست قــدماك أرض الطائرة المعدنية وأنت تغادر تلك الأرض تذكرت عينيهــا.. لا تعرف لما غرقت في سوادهم حتى النخاع ومع ارتفاع الطــائرة وهبوط قلبك نظرت إلى البعيد ترى لو مرت الطائرة الآن مــن فوق مترلها هل ستشعر بأن هناك قلبًــا -في هــذه اللحظــة- ينفطر.. كنت تراجع حساباتك تراجع كل شيء منذ البدايــة تقترب من عالمها الممتلئ بالأشياء الجميلة شيئا فشيئًا.. تــذكر

آخر مكالمة لك معها وأنت تغمض عينيك_عارفة فيلم ذهـــب مع الرياح ؟

_ أيوه

_ جامد جدًا

Looooooooooooool_

LOL_ إيه؟

_ أصل ذهب مع الرياح مش فيلم بس

_ ورواية .كمان عارفة

_لا

_ في حاجة كمان...

_ وواقع بنعيشه كل يوم..كبري.لو فقط ركـــزت قلـــيلاً كانت ستجد أنه هو أيضا ذهب مع الرياح ولو أنها مدت إليه يدها فقط كان سيصبر على الفراق وعلى السفر وعلى كـــل الأشياء... كان سيجعل منها أميرة فقط من أجل أن ينظـــر في عينيها كل مساء..فقط لو كانت قد علمت..

*****

الحنين إليها هو ما دفعك إلى البحث عن أي مكان تجـــدها فيه.. فرحت عندما وجدت جهازًا يمكنـــك مـــن أن تتـــصل بالشبكة.. سجلت دخولاً فرحت عندما رأيتـــها.. هنـــاك .. أقبلت عليها بابتسامة ففاجأتك كالمعتاد بالهموم..

ـــ إزيك و..

فقاطعتك

ـــأنا مخنوقة من كل حاجة ومن أي حاجة.. مع الغـــصة في حلقك تراجعت كلمة وحشتيني.. حمدت الله أنها قاطعتك.

ـــليه بس؟؟ فيه إيه؟

ـــمن ناس بتمثل عليا وأنا عارفة إنها بتمثل عليا وســـاكتة.. من ناس بتديني دور مش بتاعي وبتفرضه عليـــا وأنـــا بـــرده ساكتة.. من كل حد بيسمح لنفسه يقول رأي ما اتطلبش منه ويجرح ويسيب أثر وأنا عاملة جامدة . وعاملة إنها مش فارقـــة معايا.. من أقرب الناس ليا اللي كل واحد بدأ ينشغل في دنيـــا أنا مش طرف فيها.. ومطلوب مني أبقى كويسة وأوصله لحد الدنيا دي وأخرج براها. مش ذنبهم وأنا والله فرحانـــة لهـــم – أنا فاهم – وعمري ما جرحت حد ..يمكن كل حد قال إني جرحته كان كل اللي جارحه أن هو مجرحنيش الأول.. بس أنا عمري ما حاولت والله.. بالعكس والله العظيم أنا بخاف جدًا.. عندي إحساس بشع أن أي جرح هجرحه لحد حتى من غـــير

قصد ربنا أكيد هيردها لي.. بس أنا بني أدمة مش ملاك مـــش مطالبة إني أبقى ملاك.

ـ فاهمك

ـ تعبت من الناس اللي بتجرح فيا عالفاضي وعالمليان كل واحد فاكر نفسه بني آدم وليه الحق يقول اللي في نفسه وأنـــا مطالبة أسكت.. كتير بفكر أوقف كل بني آدم قدام نفـــسه.. اللي واقف يطلع عيوبي ويجرحني أعرفه كل اللي أنا شيفاه فيـــه وستحرم محتاجة أترمي في حضنه.. محتاجة أبقى معاه.. وهـــو داير بين كل واحدة شوية، وكلهم أقل مـــني.. ده إحـــساسي بيهم وإحساس كل الناس بيهم، مش أنا عشان متحيزة طيـــب ليه أنا لاء موجوعة وتعبت مبقيتش عارفة أضحك!

ـ فاهمك صدقيني فاهمك أوي.

*****

ذات يوم طلبت منه أن يعيد إليها حبيبها القديم.. لم تكـــن تعلم أنها تغرس بذالك آخر مسمار في نعش صداقتهم.. الحـــق أنه ساعدها وساعدها كثيرًا ولكن وهو يفعل ذلك كان يتحسر من فعل الأقدار أن تضيع الدنيا مثل تلك الأميرة.. ربمـــا لأنـــه قدرها أن تظل هكذا بلا أي مرفأ.

يذكر حديثه مع صديقه عليها...

ـ إنت بتحبها صح

ـ مش عارف

ـ لا بتحبها.. هي عارفة؟..

آه أكيد ..

ـ طيب احكيلي يا معلم...

ـ مفيش طلبت مني إني أرجع لها حبيبها الأولاني

ـ إيه؟

ـ زي ما سمعت

- إنت عارف البنت دى بتعمل فيك إيه؟.. بتستزفك.. الاستزاف مش بس في الفلوس.. لا في المشاعر والوقت.. هي عاملة زي أي ورم خبيث بياكل من الجسم وبيحرقه وبيتغذى عليه، بيقوى من ضعفه!!

ـ لا إنت فاهمها غلط

ـ لا.. لو هي مش عارفة إنك بتحبها يبقى عملاك كوبري أكتوبر.. ولو عارفة يبقى هي عبارة عن كوم زبالة بجد.. ومن اللي شايفة.. هي عبارة عن كوم زبالة!

*****

يومًا بعد يوم بدأت تنتصر على ذاتـــك.. الطريـــق كـــان الأصعب.. العقاقير كانت أقوى منك، ولكنك انتـــصرت... انتصرت في النهاية وتغيرت، خرجت من وعاء ذلك الطيـــب البدين.. عاد تمثال المرمر مرة أخرى عادت قوتك وقـــسوتك وتعاليك... وغرورك أيـــضًا.. عملـــك المتواصـــل ولـــذاتك المتواصلة، نسيت كل شيء عنها وعن نفسك.. كل شـــيء.. بدأت تعلو، نسيت حتى محافل الخير التي تعودت حـــضورها.. نسيت كل شيء عاد تمثال الشمع من جديد، السفر والغربـــة أكسباك طابع الجليد.. أصبحت لا يعرف عنها شيء ولم تهتم كنت تنظر في المرأة كل مساء وتطمئن علـــى تمثـــال الـــشمع الجميل وتغمض عينيك وتنام.. مدونتك وكتابتك أهملتها..ما فائدة الكتابة أساسًا.. نسيت كل شيء كل شيء، كـــل مـــا أصبح يهمك هو أن تعلو وتعلو من عربة لأخرى مـــن بدلـــه لأخرى ومن مزيج قوة لآخر ومن امرأة لأخرى سواها.. ومن عشق لعشق يليه، بدون أن تشير حتى إلى من معـــك بأنـــك أحببتها... وجدت الكثير من أشـــباه صـــديقتك القديمـــة... وجدتهم وضحكت حتى سمارها الخمري وجدته في أخريـــات كثيرات، وبعدما كانت تعتريك لحظات ضيق منها نظر إليهـــا نظرة غريبة نظرة شفقة بحق من كل ما تمر به.. عندما قابلتـــها مرة أخرى بابتسامة شديدة وبمنتهى الأدب تحدث معها.. ربما بأسلوب متحفظ أكثر من الـــلازم .. لا يعـــرف حـــاول أن يساعدها مرة وأخرى حاول أن يظلوا أصـــدقاء، أن ينـــشئ

مشروعًا في مصر تديره هي وأن.. ولكن للأسف لم تحسن هي التعامل مع ثوبه الجديد.. كانت تعودت على الاستزاف منه.. لا المنح.. وهو لم يكن ليقبل بأن يقدم أي تنازلات لها... قالت له ذات يوم أنه فقد أجمل ما فيه لأنه فقد طيبته. وأنها حينما رأته أول مرة أغمضت عينها وفتحتهما لتجد وجهًا به كل براءة وطيبة الكون ولكنها تشعر الآن بأنه خسر كل هذا ابتسم وفقط..

*****

حينما رآه أحد أصدقائه الذين مر بهم في فترة انكساره استوقفه.. حدثه عن التغيير الكبير الذي طرأ بعد غيابه.. حدثه عن فضل أفكاره في ذلك التغيير.. وبأن الجميع يشتاق إليه وخاصة الأطفال.. لم يتحدث معه قط عن تغير جسده ولم تنبهر عيناه فاندهش.. عندما زار الدار.. طفلة صغيرة كانت ترتمي في أحضانه كلما رأته سلمت عليه بجفاء.. لم يفهم الأمر!!.. أفهمته نظراتها.. أفهمته... أنه استبدل روحه التي عشقها الجميع والتي جعلته من الله أقرب بأخرى ترفض كل شيء، وتروى من غروره.. وأن واقع تجربته لو نظر إليه نظرة محققة فإن جسده وإن تغير فإنه ظل ذلك الإنسان وأن من يهتم بأي شخص أي شخص من أجل مظهره فلا يستحق العناء لتحافظ عليه من الأساس.. حينها وحينها فقط شعر بالضياع يغزو كيانه.. وشعر بالفعل أنه ضل الطريق..

الفهرس

خطة نابليون..... ٧

رسالة من أنثى ٢٩

البديل..... ٤١

الفراشة.....٦١

ساديزم..... ٩١

"آسر" ١١٥

طبعا أنا ملحد..... ١٤١

البدين..... ١٦٩

الطريق ليست كالملامح ..الملامح ترسمها الوجوه من حولك ..
أما الطريق .. فتحفر نفسها عميقاً من تحت قدميك فلا يبق لك
سوى أن تسلكها ..!!،
ثمة أناس .. تخنق ذكراك قلوبهم .. فيحيون !
وثمة أناس.. تخنقك ذكراهم ..... فتموت !!
وما بين حياتهم وموتك .. تصير قبراً يلتحف بنفسه
تعد كم شخصاً مر بك وسكنك ...
ولا تعي أنك من خلالهم أيضاً.. تدفن روحك !!

Bibliotheca Alexandrina
110013
غلاف أحمد مهنى
daroktob.com دار اكتب للنشر والتوزيع